المشرق

الديناميس الرومانية

خلاصة خطاب القاه حضرة الاب دي لاروه اليسوعي في ٢ شباط ١٩١٠

واصحبهُ بنحو مائتي صورةٍ مكبَّرة بالانوار الكهربائية

انَّ عناية الله بكنيستهِ المقدَّسة لعجيبةٌ لا يستطيع انكارها الَّا المكابر للحقّ الذي يغضّ بنظرهِ عن النور اللامع والضياء الساطع. فهذه الكنيسة الرومانيَّة المبنيَّة على اساس الصخرة المتينة التي لا تقوى عليها انواء الاضطهادات بل تعجز عنها ابواب الجحيم قد حفظت وديعة الايمان منذ تسعة عشر جيلًا دون ان تفقد منها ذرَّةً فلا يزال بطرس هامة الرسل جالسًا على سفينتهِ في شخص خلفائهِ ضابطًا لسكَّانها مُنجِيًا كنوح كلّ من التجأ اليها من تيَّار الطوفان العرمرم. ولا غرو فانَّ السماء والارض تزولان وكلام الربّ لا يزول (مرقس ١٣: ٣١)

وقد قام في كل طور من اطوار التاريخ المسيحي في الشرق والغرب والشمال والجنوب مئات رجال نوابغ قد ناضلوا عن هذه الحقيقة وأيَّدوها بالبراهين العقليَّة والنقليَّة بل استمات كثيرون في سبيلها وضحَّوا كل نفس ونفيس في بيان صحَّتها وسلسلة اولئك العلماء وهؤلاء الابطال الشهام تتَّصل دون انفصام الى عهد الكنيسة وايَّام الحواريين الابرار وتآليف الاوَّلين كآثار الآخرين باقيةٌ الى يومنا تشهد على ثبات الدين الكاثوليكيّ في معتقداتهِ التي تسلَّمها من مصدر الحق الكلمة المتجسِّد والنور الحقيقي الذي انحدر من سموّ عرشهِ لينير كل انسان آتٍ الى العالم (يوحنَّا ١: ٩)

وكما ان الله سبحانهُ وتعالى كان لأخٍ في دفائن المصريين ومطامير البابليين الوفاء

من الآثار الكتابيّة في القلّين الهيروغليفيّ والمساري صانها في قلب الارض لينشرها في زماننا من مَوَاتها لتشهد لاسفار موسى كليمهِ ولاخبار شعبهِ اسرائيل ولسائر تاريخ العهد القديم كذلك اراد عزَّ وجلّ ان يكون في دياميس رومية عددًا لا يُحصى من الآثار الدينية بعثها من مكامنها لتشهد على صحّة دينهِ الالهي فينظر كل ذي عين انّ تعاليم الكنيسة الرومانية هي اليوم كما كانت في القرون الاولى للنصرانية وانّ بيعة المسيح وحدها بازاء الهرطقات واديان الزور لم تَحِدْ عن الطريق المستقيم الذي نهجهُ لها سيّدها لذكرهِ السجود

فهاكُرا بنا نتجوّل ساعةً في تلك المفاوز الواسعة بل العالم الجديد الذي فتحهُ لنا الاثريّون المحدثون فنلقي بنظرنا في مجاهلهِ فنتحقّق اوّلًا تاريخهُ ثم موقعهُ وغايتهُ ثمّ محتوياتهِ العجيبة وما أُودعهُ من الآثار النفيسة ونُعمل الفكر آخرًا في تعاليمهِ الدينيّة

﴿ ما هي الدياميس ﴾ الدياميس في اللغة جمع ديماس وهو السرب يُنقَب تحت الارض دُعي بذلك لظلمتهِ . وقد يوجد في العالم دياميس كثيرة نُقب بعضُها لاستخراج ما فيها من المعادن الثمينة كالذهب والفضّة او الحصولات النافعة كالنعم الحجري ومقالع الرخام وصنوف الحجارة البنائية . على ان دياميس رومية تفوقها كلّها من حيث تاريخها وغايتها وهندستها وسعتها ومضامينها احتفرها النصارى الاوّلون بين القرن الاوّل للمسيح الى القرن الخامس ليودعوا فيها الرمس موتاهم ولاسيما شهداءهم المستميتين في سبيل الايمان بعد ان ذاقوا اصناف العذابات وضروب التنكيل موثرين الموت الزمني على السجود لأوثانٍ صمّاء ولطواغيت بكماء عدُوها رجسًا وقذرًا فلم يحنوا الرُّكَب امامها خاضعين لذلّها

﴿ تاريخ الدياميس ﴾ لمّا قدم الرسولان الهامتان بطرس وبولس الى حاضرة العالم الوثني في اواسط القرن الاوّل للمسيح ما لبث زرع الايمان الصحيح ان زكا ونما وانتشر اي انتشار حتى امكن بولس الرسول ان يقول في رسالتهِ الى اهل رومية (رو ١ : ٨) : « انّ ايمانكم يُبَشَّر بهِ في العالم كلّهِ » . فبعد قليل ضرب المنون ضرباتهِ في جماعة المؤمنين فمات بعضهم حتف انفهم ومات غيرهم شهداء الايمان في مقدّمتهم بطرس وبولس وغيرهم كثيرون اعمل فيهم نيرون سيفهُ البتّار فقطع حبل حياتهم ظلمًا . فأحسّ المؤمنون الاحياء بحاجتهم الى مدافن يرمسون فيها اجساد موتاهم وكانت

عادة الرومانيين في ذلك الوقت ان يحرقوا الموتى فيودعون رمادهم في اوعيةٍ فاخرة يحفظونها في مدافن خاصّة تقيمها كل أُسرةٍ لذويها لا يشاركها في ذلك غيرها البتّة . وكان وسطُ القوم منهم يتّخذون مدافن غيرها اوسع من المدافن العائليّة يشتركون في نفقاتها على شرط ان تودع فيها بقاياهم بعد موتهم . امّا الرعاع والفقراء فكانت رممهم تُلقى على المزابل مع الحيوانات وهو امر شهد عليه غير واحدٍ من الكتبة وعيّر به النصارى قدماء الوثنيين

طبع المسيحيّون على اكرام الموتى اذ يعتبرون اجسادهم كآنية قدّستها الاسرار وسكنتها نفوس صالحة فحوّلتها الى هياكل حيّة للروح القدس وسوف تقوم من لحدها بعد حين لتشارك ارواحها في معاينة الله . فكان همّهم ان يتّخذوا لتلك الاجساد منازل لائقة بها . واقدم ما نعلمهُ من ذلك في رومية مدافن عائليّة جعلوها على مثال القبور اليهوديّة كانت كغُرَفٍ يُدخل اليها من مداخل ضيقة وكان في باطنها شبه ايوان يجعلون في كلّ منها ميتًا مفردًا وفوق الميت صحيفة يُكتَب عليها اسمهُ . وكان غيرهم يودعون الميت في نواويس من الرخام او غيره ويتفنّدون تلك النواويس في الغرف السابق ذكرها فمن ذلك مدفن عائلة نصرانيّة شريفة تُدعى فلافيوس كان اهلها من الاسرة الملكيّة يقربون الى القياصرة ڤسپيان وطيطس ودومطيان ومات بعضهم شهداء في اواخر القرن الاوّل للنصرانيّة فمن ثمّ يُعَدُّون من بواكير الدعوة الرسوليّة في رومية

وكانت الحكومة الرومانيّة لا تتعرّض لانشاء تلك المدافن بل تجعلها تحت حمايتها وتعدُّها كالاماكن المقدّسة التي لا يجوز انتهاك حرمتها وذلك مع قطع النظر عن اديان اصحابها في حياتهم

على انّ عددًا وافرًا من المسيحيين كانوا فقراء الحال او عبيدًا في بيوت الاعيان فهؤلاء لم يمكنهم ان يقتنوا لهم مدافن كالوجوه والاغنياء الّا انّ اخوتهم المسيحيين ولاسيما خدمة الكنيسة سعوا طاقة جهدهم بألّا يُحرموا الدفن اللائق . فحقّ الاخاء المسيحيّ رضي قومٌ من ذوات النصارى الرومانيين ان يضيفوا في مدافنهم بعض الموزين ولهل الفاقة والصيد وقد ثبت ذلك باكتشاف مدافن لأشراف الرومانيين المتنصّرين فيها جُثث سادةٍ مسوَّدين وبقربهم خدم وعبيد كانوا يدينون بدينهم

لكنّ الكنيسة رأت بعد قليل انّ هذه المدافن الخاصّة لا تفي بالمقصود وانّها

تحتاج الى مدافن اوسع فرأت لبلوغ غايتها طريقتين المقابر العمومية المكشوفة والمدافن المحفورة في قلب الارض . وكان العلماء يظنون سابقاً انَّ المدافن النصرانية في روميـة كانت كلها في المطامير والأسراب الّا ان الاثريين المحدثين بعـد سبله (Settelé) والاب مركي (Marchi) اليسوعي تحقَّقوا انَّ النصارى قبروا كثيرين من موتاهم في مقابر علنيَّة في ربض المدينة وجوارها كمقبرة سانت قُنْسطَنْس ومقبرة سان ڤالنتان وغيرهما . وكان النصارى يقيمون على كل قبر عمودًا صغيرًا يكتبون عليه اسم الميت وجنسهُ وزمانهُ . الّا انَّ هذه المقابر قليلة بالنسبة الى الدياميس ولعلَّ معظمها قد درست آثارها لما طرأ على مدينة رومية من الخراب بعد دخول البرابرة . ثم انَّ الباقي منها يصعب افرازهُ من الآثار الوثنية لانَّ النصارى لكثرة ما اصابهم من المحن بسبب دينهم ما كانوا ليستطيعوا ان يرسموا على قبورهم الرموز الدينيَّة الواضحة دائمًا كانوا يشيرون اليها اشارة بعيدة فقط ولذلك آثروا لاسيما في اوقات الاضطهادات ان يتَّخذوا القبور المحفورة في باطن الارض . فتلك الدياميس

وهنا بحثٌ لا بُدَّ من الخوض فيهِ أترى الدياميس التي اكتشفها الاثريون هي من عمل النصارى او وجدوها محفورةً من قبلهم فاستملكوها اذ ألفوها سهلةً وقبروا فيها موتاهم . الجواب على ذلك انَّ العلماء الاوَّلين لمَّا رأوا اتساع الدياميس وعملها العجيب ذهبوا الى انَّها كانت قبل عهد النصارى وانَّها كانت المقالع التي استُخرجت منها حجارة مدينة رومية وبقيَّة مواد بنائها . وساد هـذا الرأي بين العلماء حتى ابطلهُ الاب مركي اليسوعي وبيَّن بالادلَّة القاطعة انَّ الدياميس شغل النصارى الاوَّلين لا فضل في حفرها لغيرهم الّا البعض القليل منها ممَّا لا يُعبأ بهِ . وكان اقوى براهينـهِ انَّ الدياميس كلها محفورة في امكنة لا تصلح حجارتهـا للبناء لانَّ حجارة ابنية رومية من الحجر البركاني المتيع المدعو توف ليثويد (tuf lithoïde) او من الحجر الرملي المسمَّى پوزولان (tuf sablonneux, pouzzolane) امَّا دياميس النصارى فمعظمهـا في طبقات الارض التي تتركَّب من الحجارة المحبَّبة (tuf granulaire) اللينة القليلة الصلابة . فهذه الحجارة يسهل قطعها ونحتها ولا يحسن البناء بها ففضَّلها النصارى على غيرها اذ رأوها اوفق لغايتهم لا يزاحمهم احد في شغلها ولا يطلب نحتها زمناً طويلاً . ولهم ايضاً مدافن اخرى قليلة نقروها في امكنة تتكوَّن طبقات ارضهـا من الحجارة

النهرية او البحرية وهي ايضاً لا تصلح للبناء . فتي كل ذلك دليل واضح على انّ هذه المدافن للمسيحيين لا يد لغيرهم في حفرها

ولنا غير ذلك من البيّنات التي تنفي كل ريب في نسبة حفر هذه الديامس الى النصارى فانّ مقالع الرومانيين القديمة موجودة الى اليوم ومن قابل بينها وبين مدافن المسيحيين وجد عدّة فروق تفرز تلك عن هذه في الهندسة والصورة والتقاطيع والآثار بحيث لا يبقى في الامر ادنى شكّ

وكان اوّل ما احتفر قدماء النصارى من هذه المقابر انّما احتفروهُ تحت المدافن المكشوفة الخاصّة باعيان المتنصّرين فانّ هؤلاء حبّاً باخوتهم المشاركين لهم في الدين سمحوا لهم بان ينقبوا في اعماق ارضهم اسراباً لدفن موتاهم وكانوا ينزلون الى تلك المطامير بدرجات عديدة يبلغ بعضها من الخمسة عشر الى نحو الثلاثين متراً عمقاً فيتّسعون في حفرها على قدر حاجتهم وهم لا يحيدون عن حدود الارض التي تخصّ اصحاب الملك من النصارى . وكان ذلك يستدعي علماً مدقّقاً باصول الهندسة . ومن ثم كان يولّون ادارة الاشغال مهندسين نصارى حريصين على حسن العمل فيتلافون كل خطر من هبوط الارض او تخطّي حدودها الخارجة . فينقبون الاسراب على شكل الاقبية . امّا الموتى فكانوا يجعلون لهم أنقاباً ينقبونها في جدران تلك الاقبية يميناً وشمالاً على شبه المراقد وربّما اتّخذوا ثلاثة او اربعة انقاب الواحد فوق الآخر ثم كانوا يخصّصون كل قبر ويجعلون عليهِ صحيفةً ضريحيّة مكتوب عليها اسم الميت مع رموز دينيّة سوف نأتي على ذكرها

وكان هؤلاء المهندسون في اوّل الامر يتّسعون في تخطيط الديامس فيجعلون طرقها رحبةً الّا ان ازدياد عدد النصارى وكثرة موتاهم امّا استشهاداً واما حتف انفهم اضطرّ المهندسين أن يقرّبوا الجدران بعضها الى بعض حتى انّ المسالك بينها اصبح غالباً لا يزيد على الذراع الواحدة ومنها ما هو احرج من ذلك وقليل منها يتّسع رحبهُ حتى يبلغ متراً او ازيد

ثم وجد المهندسون طريقةً اخرى لسدّ الخلل فانّهم لم يكتفوا بتضييق المسالك بل فتحوا منافذ متعدّدة جعلوها طبقاتٍ في الارض يركب بعضها بعضاً فترى بعض الديامس كالبيوت لها ثلاث او اربع او خمس طبقات متشابهة الهندسة في كل طبقة منها الجدران المثقوبة الطرفين لوضع اجسام الموتى (اطلب الصورتين ١ و ٢)

ومع كل ذلك لم يلبث النصارى ان احتاجوا الى مدافن اخرى جعلوها في جهات مختلفة الّا انها كلها في خارج رومية اذ لم يُسمح لاحد في دفن موتاه في داخلها. والديامس موقعها على مسافة ميل الى ثلاثة اميال عن البلد. ولمّا تكاثر عددها رأت الكنيسة من الواجب ان تتولّى هي تدبيرها فجعلت لها نظّاراً من الشمامسة يقومون باعبائها و يوقفون الرؤساء على حاجاتها. وكانت الكنيسة بلغت منذ اواسط القرن الثاني للمسيح حالةً من الثروة كافية لاقتناء بعض الاملاك التي تخصّها بحفر المقابر فنظّمت احوالها وقامت بتدبيرها احسن قيام لاسيما في عهد البابا كالكستس في العشر الثاني من القرن الثالث. وكان تحت امر الكنيسة جماعة من الحفّارين يخصّون نفوسهم بخدمة اخوتهم بحفر المقابر فتسولهم الكنيسة وتُعنى بهم بصفة اكليريكيين بسطاء (انظر الصورة ٣)

﴿ اتساع الديامس ﴾ وقد أتت هذه جماعة الحفّارين باعمال يحير لها العقل ولا يكاد يصدّقها السامع لولا الشواهد الناطقة بصحّتها. فقد عدّوا اليوم الديامس المعروفة في رومية فاذا هي تبلغ نحو المئة. ثم قاسوا ما حفروهُ في قلب الارض من الاسراب فوجدوا انّ طولها يبلغ نحو الف كيلومتر وعلى الاقلّ ٨٧٦ كيلومترًا كما اثبت الامر المهندس الايطالي ميشال دي روسي وهو لعمري طول غريب اذ يبلغ المسافة التي بين مرسيلية وباريس وبين دمشق الشام وبغداد

ولنا مثال عياني يشهد على صحّة قولنا فانّ دياس سنت اغنس الذي تمّ نقبهُ وحُسّنت هندستهُ ولم يمسّهُ الدهر بأذًى كبير لا يتجاوز تكسير مساحته ١٦,٤٧٥ مترًا مربّعاً فانّ الحفّارين فتحوا فيهِ من الاسراب ١,٦٠٣ امتار تتراوح السعة بين جدرانها من ٧٥ الى ٩٠ سنتمترًا وقد بلغ عدد القبور الموجودة فيها ٥,٧٣٦ قبرًا

وليست الديامس كلها مسالك ضيّقة بل فيها ايضاً من مسافة الى اخرى غُرَف ونوادٍ على اشكال مختلفة منها مربّعة ومنها مستطيلة وبعضها على شكل مستدير وغيرها ذات زوايا مسدّسة او مثمّنة وكان النصارى يجتمعون فيها كل سنة في يوم تذكار الشهداء او في بعض المواسم الخاصّة ويقيمون فيها الرُتب الدينيّة بتصدُّر الحبر الاعظم الرومانيّ او احد الكهنة

وما كانت الديامس معابدَ النصارى كما زعم البعض لانّ كنائسهم كانت في

احياء المدينة اللهمَّ الَّا وقت الاضطهادات فانهم لم يجدوا امانًا على نفوسهم في الخارج فكانوا يجتمعون في الديناميس لاداء واجبات الدين فيها

فمن ثمَّ يمكن القارئ ان يحكم بنفسهِ ما بلغتهُ الديناميس من الشهرة فضلًا عن اتساعها العجيب اذ كانت اشبه بمدينة مطمورة حتى ان الاثريين دعوها برومية الثانية رومية الاسراب (Rome souterraine) فان الذي يدخل فيها يمشي الساعات الطويلة في اطرافها وربَّما ضاع فيها وهلك ان لم يصحبهُ دليل عارف بارجائها ومجاهلها

امَّا ﴿ زمن حفر الديناميس ﴾ فانهُ يتناول القرون الاربعة الاولى منذ دعوة الرسولين العامتين بطرس وبولس الى السنة ٤١٠ اذ دخل الوِسيقوط رومية ونهبوها. فلم يَعُد اهل تلك الحاضرة يدفنون موتاهم في الديناميس بل في المقابر المكشوفة في خارج المدينة . على انَّ المسيحيين لم ينسوا ما كان يتعلَّق بمدافنهم من التذكارات الصالحة فكانوا يزورونها مرارًا في السنة ويتباركون بها الَّا ان بعض اهل المطامع جعلوا ينتهكون حرمتها فيفتحون القبور طمعًا في الامتعة الثمينة التي تتضمَّنهُ او ايضًا ليبيعوا اجساد الشهداء بيعًا خسيسًا . فلمَّا علم بالامر الاحبار الرومانيُّون امروا باستخراج ما يُعرَف فيها من جثث الصالحين فنقلوها بكل رونق الى الكنائس وجعلوها في اصونة ومشاهد فاخرة لاسيما الباباوات بسكال الاوَّل وغريغوريوس الرابع وسرجيوس الثاني في القرن التاسع . فمذ ذاك الحين اخذ يقلُّ عدد الزوَّار للديناميس بل اصبحت بعد قليل نسيًا منسيًّا فطُمرت وباد ذكرها الى القرن السادس عشر حيث انتبه اليها ارباب البحث الحفريَّات جرت بقربها فجعلوا ينزلون الى اغوارها وينقِّبون عن شُعَبها ومضامينها . واشتهر بينهم الاثريّ الشهير بوزيو (Bosio) فقضى نيِّفًا وثلاثين سنة في درسها . واقتفى تلاميذهُ آثارهُ فاشتهر منهم ارنغي (Aringhi) وبولداتي (Boldetti) وعاد السكوت فساد على تلك المآثر الجليلة الى ان قام علماء القرن الماضي في مقدَّمتهم الاب ماركي ولاسيما تلميذهُ الذي فاق شهرةً كلَّ معاصريهِ حنَّا دي روسّي (G. B. de Rossi) والاب الفسوعي غاروتشي (Garrucci) والسيِّد ولبرت (G. Wilpert) والقانوني ماروكي (Marucchi) والاثري پول الار (P. Allard) وتكلهم التآليف النفيسة التي يستقي من مواردها كل اهل البحث وقد وصفوا تلك الديناميس اوصافًا مدقَّقة يستضيء بنورها خلفاؤهم فيواصلون التفتيش فيها من بعدهم

﴿ محتويات الدياميس ﴾ انَّ اسم الدياميس يجلبُ عادةً لمخيّلة السامع بهِ ذكر شيءٍ يحزن القلب ويكدّر الخاطر اذ ان الدياميس كما قلنا المقابر وليس في ذكر المقابر ما يرتاح اليهِ الجنان وينشرح بهِ الصدر. على انَّ الامر في الواقع ليس كذلك فانَّ قدماء النصارى لرجائهم بالقيامة الاخيرة التي بشَّرهم بها الرسل ووجدوا عربونها في قيامة المسيح من الاموات اعلنوا بهذا الرجاء على ضروب شتَّى فكادوا يحوّلون الدياميس الى مداخل الجنَّة ويعتبرونها كمعابر تُجيز بهم الى الافراح السرمديَّة او كما قال الرسول (١ كور ١٥: ٤٣—٤٥) كزارع « يُزرع فيها الجسم بالفساد فيقوم بلا فساد يُزرَع بهوان ليقوم بالمجد يُزرع جسدًا حيوانيًا ليقوم جسدًا روحانيًا » وقد جاهروا بمعتقدهم هذا حتى في اسم الدياميس والمقابر التي كانوا يدعونها بالمراقد والمضاجع (κοιμητήριον) يريدون انَّ الموت كناية عن رُقاد ونوم ينتهي قريبًا بيقظة القيامة

ومما يدهش زوَّار الدياميس أنهم لا يجدون فيها شيئًا مما يعلّل الحزن والكدر كتصاوير الموت المهولة وكالرموز المفجعة التي ألفها الوثنيُّون من نعش الجماجم وهياكل الموتى وتشخيص تمثال الموت. وترى على خلاف ذلك النقوش المبهجة كالزهور والاغصان المورقة والاشجار بل ربَّما استعار النصارى من الوثنيين بعض الرسوم التي لم يجدوا في تصويرها بأسًا كصُوَر فصول السنة وصور الطاووس وعنقاء مغرب وصور ربَّات الفنون الجميلة المدعوّات بالموز وكأورفاي اله الموسيقى وغير ذلك مما يظهر لاوَّل وهلة كآثار وثنيَّة لولا انَّ المسيحيين أوَّلوا تلك التصاوير تأويل رمزيَّة فازالوا عنها كل معنًى وثنيّ واشاروا بها الى معانٍ صالحة تقويَّة فانَّهم بتمثيل أورفاي مثلًا وحولهُ السباع مسحورة بضربهِ للآلات أومأوا الى عمل المسيح بالنفوس وتهذيبهِ للارواح بعد شراستها وفقًا لقول النبيّ اشعيا عنهُ (١١: ٥—٧) انَّ « بايامهِ يسود العدل فيسكن الذئب مع الحمل ويربض النمر مع الجدي ويرعى العجل والشبل معًا » . . .

وفي الدياميس ما هو دلَّ على رجاء المسيحيين وايمانهم بالقيامة وانتظارهم لدار الخلود بالطمأنينة والآمال الطيّبة. وذلك ما وجدوا فيها من تمثيل اخبار الاسفار المقدسة التي تدلُّ على النجاة من البلايا وعلى الفرج بعد الشدَّة . كصورة ابراهيم الخليل وهو يتأهَّب لتضحية ابنهِ اسحاق اذ يناديهِ الملاك بالَّا يفعل ويدلُّهُ على كبش يقرّبهُ بدلًا منهُ (انظر الصورة ٤). وكصورة أيوب البارّ جالسًا على مزبلتهِ مقاسيًا لاوجاعهِ بيد انهُ لم

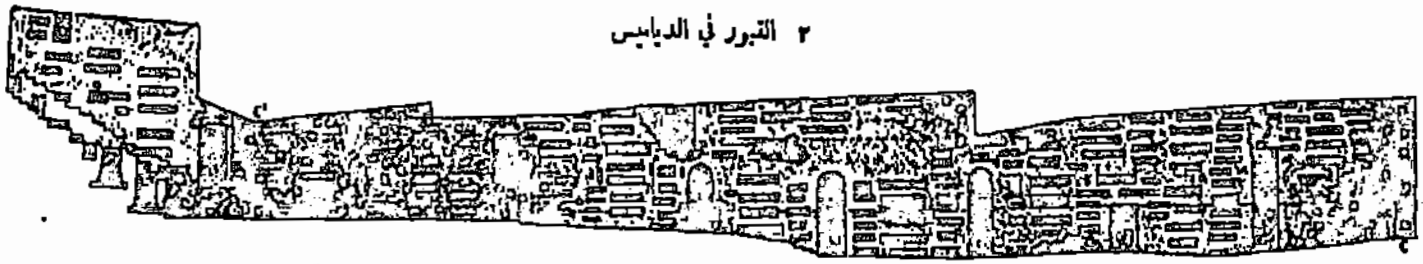

٢ القبور في الديامس

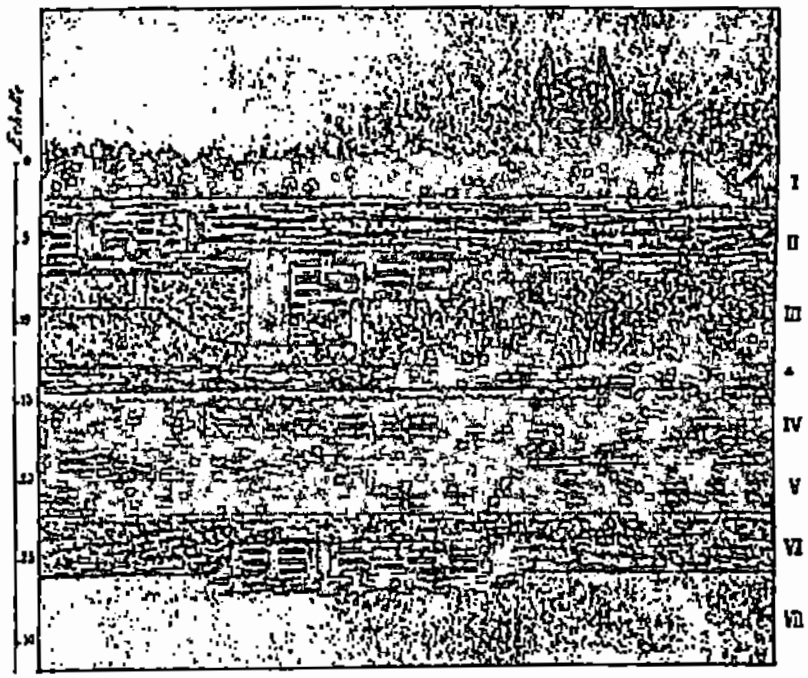

١ طبقات الارض التي حُفرت فيها الديامس

٤ صورة ابراهيم واسحاق في الديامس

٣ حفّار الديامس

٧ اكليل الشوك

٨ حمل الصليب

٥ دانيال في جب الاسود

٦ سنة البارة وشيخا اسرائيل

يقطع املهُ من عون ربّهِ كأنهُ يردّد قولهُ (١٩ : ٢٥) : « اني لعالمٌ بانّ قاديٌ حيّ . . . وتُلبس هذه الاعضاء بجلدي ومن جسدي أُعاين الله . . . فيناني تريانهِ لا غيري » . وكيوسف ناجيًا من مكايد اخوتهِ مستوليًا على مصر . وكيونان خارجًا من بطن الحوت (انظر الصورة في المشرق ٩ : ٣٤١) . وكدانيال في جب الاسود (انظر الصورة ٥) . وكسوسنّة البارّة التي انقذها الله من تُهمة الشيخين الفاجرين وقد صُوّرت في الديامیس صورةً رمزيّة مثّلوا فيها سوسنّة بصورة شاة فوق رأسها اسم سوسنّة وعلى جانبيها الشيخين بصورة ذئبين كاسرين (انظر الصورة ٦) . وكل هذه الصور منقولة عن تاريخ اسفار العهد القديم . وهناك صور غيرها نُقلت عن العهد الجديد كشفاء المخلّع وقيامة لعازر ونجاة بطرس من حبس هيرودس الى غير ذلك مما يحيي الرجاء ويبعث الأمل ويثلج الصدور بهجةً

﴿ تعاليم الديامیس ﴾ على انّ الآثار المودعة في الديامیس لا تشهد فقط على رجاء اصحابها ومعتقدهم الوطيد بقيامة الاجساد بل هي اعظم واوضح شهادة على دين المسيحيين الثابت واستمساكهم بتعاليم الرسل وصياتهم للمعتقدات التي اوصى بها السيد المسيح ليعتهِ المقدسة . فلو افترضنا فقدان الاناجيل الطاهرة التي هي اليوم بيدنا فانّ آثار الديامیس كافية لتوقفنا على كل سيرة ابن الله وتعاليمه وما اوحاهُ الى البشر . على انّ المسيحيين الاوّلين لم يقصدوا برسم هذه الآثار غايةً أخرى سوى ان ينعشوا في قلوبهم روح التُقى والثقة بالله في محنهم وشدائدهم وها هي اليوم قد قامت كشواهد صدق تُعلن للعالم كلهِ بصحة الدين المسيحي وقدمهِ وثباتهِ الدائم

اما سيرة السيد المسيح فتجدها في الديامیس متسلسلةً متواصلةً منذ تجسّد الربّ حتى صعودهِ الى السماء . فهناك صورة مولدهِ في بيت لحم . وصورة المجوس القادمين من المشرق ليقرّبوا لهُ الهدايا (راجع المشرق ١٠ : ١٠) . وصورة معموديّتهِ بيد يوحنّا المعمدان مع حلول الروح القدس عليهِ على شكل حمامة . وصور شتّى لسيرهِ مع رسلهِ الكرام ولاصطناعهِ المعجزات كشفاء المرضى والعميان والبرص وتوفير السبعة الخبزات . وصورة دخولهِ الى اورشليم راكبًا على أتان وصورة العشاء السرّي وغسل ارجل التلاميذ وتوقيف الربّ في بستان الزيتون وامتثالهِ لمام حنان وقيافا وبيلاطس وتكليلهِ بالشوك وحملهِ للصليب (انظر الصورتين ٧ و ٨) ثم قيامتهِ المجيدة من بين الاموات (اطلب

المشرق ٩ : ٣٣٨) وظهوره لتلاميذه . فترى انّ الاناجيل قد اكتسبت باكتشافات صور الديامس برهاناً جديداً قاطعاً على ما تضمّنت من اخبار حياة المسيح وتعاليمه

لا بل نجد في صور الديامس بيّنة صادقة على اعتقاد المسيحيين الاوّلين للاهوت السيّد المسيح فان تلك الصور تمثّله بكل الهيئات الدالّة على عظمته وسيادته . وتعليمه الالهيّ فيُرى تارةً وهو منتصب ويده الصولجان وتارةً وهو جالس على كرة كالملك القادر او يُرى الكرة عند اقدامه وعلى جانبيه الملائكة . وحيناً تُجعل في يده عصاة الحكم كعصاة موسى وخصوصاً عند اقترانه للمعجزات وحيناً يصوّرونه ويده سفر الحياة . ومن شاراته الالهيّة انّ صورته على هيأة شاب بلا لحية اشارةً الى ازليّته

ومن العقائد الراهنة التي تشهد لها الديامس فتنفي كلّ مزاعم اعداء الكنيسة الرومانيّة وتثبت معتقد الكاثوليك رئاسة القديس بطرس الرسول على الكنيسة جمعاء فانّ التصاوير المتعدّدة التي اكتُشفت هناك اوضح تفسير لكلمة الربّ لبطرس (متى ١٦ : ١٨—٢٠) : « انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي ولن تقوى عليها ابواب الجحيم وسأعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكلّ ما تربطه على الارض يكون مربوطاً في السموات وما تحلّه على الارض يكون محلولاً في السموات » . ولقوله ايضاً لرسوله (يوحنّا ٢١ : ١٥—١٧) : « ارعَ خرافي ارعى نعاجي » . ولا حاجة للاطالة في هذا الباب اذ ان المشرق قد خصّ به سابقاً مقالة واسعة عنوانها « الرئاسة البطرسيّة في ديامس رومية » فلتُراجع (المشرق ٦ : ٧٧٥—٨٥٨)

ومما تمتاز به كنيسة المسيح الاسرار الخفية التي ورثتها من منشئها الالهيّ . فهذه الاسرار قد رُسمت ايضاً على جدران الديامس باشكال مختلفة زاهية تثبت بلسان حالها معتقد المؤمنين وايمانهم المستقيم . واسّ كلّ الاسرار المسيحيّة المعموديّة فانّ الديامس لم تصوّر فقط صورة عماد المسيح كما سبق بل أبقت لنا عدّة تصاوير للمعموديّة وكذلك وجدوا في الديامس اجراناً كانوا يغطسون فيها المعمّدين كما كانت العادة جاريةً في ذلك الوقت وكما يألفها الى يومنا الشرقيون (انظر الصورة ٩)

ومن آثار سرّ التوبة مقاعد وجدوها مفردةً في بعض زوايا الديامس فارتأى العلماء انّها كانت للكهنة يجلسون عليها ليسمعوا بها اقرار الخطأة يذنوبهم فينالوا عنها الغفران

وليس في الديامس آثار اوفر واجمل واندق من آثار سرّ القربان الاقدس فترله

حيناً بالرموز المشيرة اليه كتحويل السيد المسيح للماء في عرس قانا الى الخمر تنويهاً بتحويل الخبز الى جسد الرب وكمعجزة السبعة الخبزات والسمكتين اذ تشبع الرب الوفاً من الجياع. وحيناً بالدلالة الصريحة كصورة المشاء السري وصورة السيد المسيح على شكل الراعي الصالح وبقربه الخبز السري والخمر اللذان يقوت بهما النفوس وكثيراً ما يرسمون صورة السمكة الدالة بحروفها اليونانية على اسم المخلص ولاهوته. وكل ذلك تجده في مقالة سطرها حضرة الخوري بطرس عزيز النائب البطريركي على الكلدان في حلب واثبتها في المشرق (٤: ٦٧٢—٦٨١) تحت هذا العنوان « الافخارستية في الماديات المسيحية » فعليك بها

فهذه خلاصة تعاليم الديداميس اذخرها الله لاثبات دينه الى ايامنا لتقوم كشواهد حية بازاء الجاحدين لصحة النصرانية وافحاماً لمناقضي تعاليم يسمة الله. فلهُ تعالى المجد والشكر اذ لم يدع ابناء النور العربة في وجه رياح الاضاليل لكنهُ ثبت ايمانهم على حجر الزاوية الذي لا يصدم عليه احدٌ الا تحطم. وحجر الزاوية على قول الرسول المصطفى انما هو المسيح يسوع (افس ٢: ٢٠) تبارك اسمهُ الى الابد

ديوان

سلامة بن جندل السعدي

نشرهُ لاوّل مرّة الاب لويس شيخو اليسوعي

مقدّمة

افادتنا مجلّات المستشرقين انّ العلامة الفرنسوي الفاضل المسيو كلمنت هوارت (M^r Clément Huart) في جلسة نادي العلماء الفرنسويين الواقعة في كانون الاوّل المنصرم بشّر رصفاءهُ باكتشاف مهمّ حظي بهِ في بعض خزائن كتب الاستانة اعني مكتبة ايا صوفية. وما الاكتشاف المذكور سوى وقوف جنابهِ على نسخة من ديوان احد شعراء الجاهلية المسمّى سلامة بن جندل الذي رأى لنشر شعرهِ فوائد خطيرة سواء كانت لغوية ام ادبية

والحقُّ يقال أنّا سُرِرنا بهذا الخبر ايَّ سرور وكنّا ظننا سابقاً في كتابنا شعراء النصرانيّة (ص ٤٨٦) سلامة بن جندل في عداد الشعراء المسيحيين وروينا ما وجدنا اذ ذاك من قصائده فنعقد الامل بانَّ جناب المستشرق لا يلبث ان ينشر قريباً هذا الاثر الفريد. على أنّا بقينا في ارتياب من هذا الاكتشاف لانَّ في مكتبة ايا صوفية نسخةً من هذا الديوان تُعرف منذ زمن مديد وقد ورد ذكرها في قائمة طُبعت في الاستانة العلية سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤ م) تحتوي اسماء مخطوطات مكتبة ايا صوفية فديوان سلامة بن جندل مدوَّن ذكرهُ في جملة المجاميع الموصوفة في الصفحة ٣٣٥ والموسومة بالعدد ٤٩٠٤ فهذا المجموع يحتوي على ثلاث رسائل او آثار: فالاثر الاوَّل يزوغ الهلال في الخصال الموجبة للظلال (كذا). والثاني رسالة في كلام الامام علي على ترتيب حروف الهجاء. والثالث كتاب شعر سلامة بن جندل السعديّ. فان كان هذا الديوان هو الذي نواهُ جناب المسيو هوارت فانَّهُ لم يكتشف شيئاً لانَّ الديوان معروف. وقد استنسخناهُ في السنة ١٨٩٩ على يد تزيل كليتنا الاستاذ الاديب اوغست هفنر (D^r A. Haffner) لمّا برحنا تلك السنة الى الاستانة ومنها الى ڤينا. فهذه النسخة لا تزال في يدنا اعددناها للطبع منذ زمن طويل ولم تسمح لنا الفرصة حتى الآن بنشرها. فها نحن اليوم نتحف بها قرّاءنا مؤمّلين ان يكون المسيو هوارت اكتشف غير ذلك من شعر سلامة بن جندل فيفيدنا به

وبينا نحن ساعون في نشر النسخة التي وقفنا عليها في الاستانة اذ عاد من مصر جناب صديقنا العلّامة المستشرق الروسي اغناطيوس كراتشقوفسكي وقد اصاب في الاسكندريّة نسخةً ثانيةً من هذا الديوان العزيز الوجود فيها في مكتبة تلك الحاضرة فاستنسخها وتلطّف فاعارنا اياها للمقابلة على نسخة الاستانة. فلمّا عرضناها على تلك تأكّدنا انها أختها تشبهها شبهاً تامًّا فانَّ خطَّها وقلمها ومضامينها من القصائد تكاد لا تختلف عنها الّا في النزر القليل. على انَّ كاتبها غير كاتب نسخة ايا صوفيا فهو يُدعى في آخر الكتاب علي بن محمّد وقد خطَّها سنة ٤٩٣ للهجرة اعني ثلاث عشرة سنة فقط بعد نسخة الاستانة. ولعلَّ علياً هذا هو الشيخ ولي الدين علي العجمي المذكور في ختام النسخة عينها. ولكنَّ هذه النسخة الاسكندرية لا شروح فيها البتَّة ولمّا الروايات القليلة التي تختلف عن نسخة الاستانة فسندلّ عليها بحرف «س»

*

اعلم انَّ سلامة بن جندل احد شعراء تميم وفرسانهم المعدودين في الجاهليَّة. قيل في نسبهِ (١ انهُ ابن جندل بن عمرو (وقيل عبد عمرو وقيل عامر) بن عُبيد بن الحارث (ويروى عبد الحارث) بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مرّ ابن ادّ بن طابخة بن الياس بن مضر. والحارث جدُّهُ عُرف بالمقاعس وقيل انَّ المقاعس هو الحارث. ولا نعلم أسلامة بن جندل هو الذي دعاهُ ابن دريد في كتاب الاشتقاق (ص ١٤٩) سَلمى بن جندل. ولعلَّهُ هو الَّا انَّ ابن دريد يقول انَّ هذا من نهشل ولم يذكر اسمهُ سلامة. وكذا ورد في تاج العروس (٨: ٣٤٣) وضبط هناك اسمهُ عن البعض سَلمى وعن البعض الآخر سُلَيمٌ

امَّا ترجمة سلامة بن جندل فلا نعرف من امرهِ الَّا النَّزر الزهيد فانَّ صاحب كتاب الاغاني لم يأتِ لهُ على ذكر البتَّة. وفي الشعر والشعراء لابن قتيبة انهُ «جاهليّ قديم وهو من فرسان تميم المعدودين واخوهُ احمر بن جندل من الشعراء والفرسان». ولم يذكر الكتبة زمان هذا الشاعر الَّا انهُ يؤخذ من بعض قصائدهِ انهُ نظمها ليشكر فيها عمرو ابن كلثوم التغلبيّ الشاعر صاحب المعلَّقة وكان فارساً فأغار على تميم وأسر احمر اخا سلامة ثمَّ اطلقهُ كرماً فيتبيَّن من ذلك انَّ سلامة كان في أيام ملك الحيرة عمرو بن هند اعني في القسم الثاني من القرن السادس للمسيح. وكذلك أورد في شعرهِ ذكر النعمان ابي قابوس وقتلهُ بامر كسرى تحت ارجل الفيلة فقال عن ملك الفرس:

هو المُدخِل النعمان بيتاً سماؤهُ صُدورُ فيولٍ بعد بيت مُسَرْدَقِ

وكان النعمان في اواخر القرن السادس للميلاد (٢

وكذلك نجهل مآثر سلامة فلم يوقفنا احد على شيءٍ منها. الَّا انَّ في شعرهِ ما يلمح باعمالهِ واعمال قومهِ كما سترى. ثم ان الكتبة يقولهم عنهُ انهُ «من الفرسان المعدودين» ينوّهون بسؤددهِ وعلوّ مقامهِ. وان صحَّ انهُ هو سلمى بن جندل المذكور

---

١) اطلب الشعر والشعراء لابن قتيبة (ed. de Goeje, 147) وخزانة الادب للبغدادي (٢: ٨٦) وعلى هامشها كتاب المقاصد النحويَّة للعيني (٢: ٢٢٦) وتاريخ اليعقوبي (١: ٢٠٧)

٢) وطبعٌ لا صحَّة لزعم اسكندر اغا ايكاريوس في كتاب روضة الادب حيث قال (ص ١٨٢): انَّ سلامة توفي سنة ٥٢٠ للمسيح

في كتاب الاشتقاق زاد اعتبارنا لهُ بما روى هنـاك ابن دريد من اقوال الشعراء في تعظيمهِ كاحد المشاهير او الامراء كقول بعضهم:

مات ابي والمنذران كلاهما وفارسُ يومِ العين سَلمى بن جَندلِ

وكقول آخر:

وقبلَ مات الخالدان كلاهما عبدُ بني جَعْوانَ وابنُ المضلَّلِ
وقيس بن مسعودٍ وقيسُ بن خالدٍ وفارسُ يوم العين سلمى بن جَنْدلِ

وقد بحثنا عن هذا « يوم العين » بين أيام العرب فلم نجد لهُ ذكرًا في ما لدينا من التآليف. وقد روى في تاج العروس (٨ : ٣٤٣) : « وفارسُ يومِ القين » فلم يزدنا افادة:

اما من حيث الشعر فان اصحاب النقد كابن الرشيق في العمدة (١ : ٦٦) والسيوطي في المزهر (٢ : ٢٤٥) جعلوهُ في جملة المقلّين من شعراء الجاهليّة الّا انهُ مجيد محكم في قلّتهِ وقد عُدَّ من نُعَّات الخيل. قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء: انَّ سلامة احد من يصف الخيل فيُحسن. وروى ابن عبد ربّهِ في عقد الفريد انَّ بني تميم قالوا لسلامة بن جندل: مجّدنا بشعرك. فقال لهم: اقعدوا حتى اقول. وفي هذا شاهد على مقام سلامة بن جندل بين قومهِ. ومما كُتب في مدح سلامة ما قالهُ احمد بن ابي طاهر طيفور صاحب مسالك الابصار (ورد في نسخة لندن الخطيّة):

« سلامة بن جندل مُعرق في تميم ومُعرّق في نسبها الصميم. ومال بصحّة نسبهِ الى ابيهِ بفرعها المهذّل. فثبت كأنهُ الثريا « بامراس كأنٍ الى صُمّ جندلِ ». وهبَّ شعرهُ من الدهنا. وقد طبَّق انفاسهُ. وتمجّد على جندل بن عمرو بسلالة وزاد تمجيدًا وآل الى سلامة. وزاد تمجيدًا وكان يتغنى بالتشبيب ويجيده. ويبدي خافيهُ ويجيدهُ »

فهذا ما امكنا جمعهُ من المعلومات في تعريف هذا الشاعر. امّا ظنّنا لهُ في عداد النصارى فاستنادنا اوّلًا الى شيوع النصرانيّة في تميم كما سنبيّن الامر قريبًا ان شاء الله. ثم وجدنا في خلوّ شعر سلامة من كل اشارة الى الشرك شاهدًا آخر على قولنا. وزِدْ عليهِ انَّ في شعرهِ تشابيه نصرانيّة تؤيد قولنا تأييدًا كذكر داود النبي والدروع المنسوبة اليهِ وكالتشابيه بالأسفار المنمّقة التي كان يتخذها نصارى العراق. ومن ادلّتنا على نصرانيّتهِ انهُ عاش في جهات الحيرة التي كانت النصرانيّة عمّت كل انحائها وعاشر قومًا من النصارى كتغلب والعباديين. فهذا ما حملنا على إدراج اسمهِ في شعراء النصارى والله اعلم

شعر سلامة بن جندل السعدي

عن ابي سعيد الاصمعي

ونفس الرواية عن ابي عمرو الشيباني وتُرى على عمارة

رواية ابي العبّاس محمّد بن الحسن بن دينار الأحول (*

بسم الله الرحمن الرحيم

قال سلامة بن جندل

ابن عبد (** بن عُبَيْد بن الحرث بن مُقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن ادّ بن طابخة بن الياس بن مُضر بن نزار بن معدّ بن عَدْنان. ومُقاعس هو الحرث بن عمرو وانّما سُمّي الحرث مُقاعساً لأنهم تقاعسوا عن حلف اختلفوا فيه في وقعةٍ من الوقعات:

اَوْدَى ٱلشَّبَابُ حَمِيدًا ذُو ٱلتَّعَاجِيبِ ... اَوْدَى وَذٰلِكَ شَأْوٌ غَيْرُ مَطْلُوبِ (١

وَلّى حَثِيثًا وَهٰذَا ٱلشَّيْبُ يَطْلُبُهُ ... لَوْ كَانَ يُدْرِكُهُ رَكْضَ ٱلْيَعَاقِيبِ (٢

اَوْدَى ٱلشَّبَابُ ٱلَّذِي مَجْدٌ عَوَاقِبُهُ ... فِيهِ نَلَذُّ وَلَا لَذَّاتِ لِلشِّيبِ

*) في نسخة الاسكندرية: على عمارة محمّد بن الحسن رواية ابي العبّاس بن دينار الاحول

**) في س وكذلك في هامش نسختا: بن عمرو بن عبد

الشروح في اصل الديوان عن نسخة ايّا صوفيّا

١) أَوْدى الشيءُ يُودِي اذا هلك. وحميد يعني الشباب. يقول ولّى حميداً. والشأو الطلق والسبق. والشبابُ لا يُدرك اذا فات

٢) ولّى حَثِيثاً يعني الشباب. وقولهُ « لو كان يدركهُ ركض اليعاقيب ». قال ابو عمرو الشيبانيّ او غيرهُ: اليعاقيبُ جماعة يَعْقوب وهو ذكر القَبْج. وسألت عُمارة عن تفسيره فقال: اليعاقيب ذوات العَقَب والبقاء من الخيل.

يَوْمَانِ يَوْمُ مَقَامَاتٍ وَأَنْدِيَةٍ ... وَيَوْمُ سَيْرٍ إِلَى الْأَعْدَاءِ تَأْوِيبِ (١
وَكَرَّنَا خَيْلَنَا أَدْرَاجَهَا رُجُعًا ... كُمَّ السَّنَابِكِ مِنْ بَدْءٍ وَتَعْقِيبِ (٢
وَالْغَادِيَاتِ أَسَابِيُّ الدِّمَاءِ بِهَا ... كَأَنَّ أَعْنَاقَهَا أَنْصَابُ تَرْجِيبِ
مِنْ كُلِّ حَتٍّ إِذَا مَا ابْتَلَّ مُلْبَدُهُ ... ضَافِي السَّبِيبِ أَسِيلِ الْخَدِّ يَعْبُوبِ (٣
لَيْسَ بِأَقْنَى وَلَا أَسْفَى وَلَا سَغِلٍ ... يُسْقَى رَوَاءً فَفِي السَّكْنِ مَرْبُوبِ (٤

---

١) قال عُمارة التأويب من غُدوة الى الليل. ويُقال تأويب رجوع من قولك أبتُ الى القوم اي رجعتُ اليهم. ويقال التأويب من غُدوة الى الليل اي ساعة نزلت منهُ شديدًا كان سَيْرُك او غَيْر شديد. ويقال ايضًا: التأويب الإمعان في السير الشديد وانشد:

لحِقْنا بحيّ أوّبوا السَّيْرَ بعد ما ... رقَمْنا شُعاعُ الشمسِ او كاد يصبحُ

يصبحُ يذهب. وقولهُ « يومُ مقاماتٍ » قال ابو عمرو: إقامتهم يوم إقامة. والأندية المجالس الواحد نادٍ

٢) قال ابو عَمْرو. أدراجها أي من حيث جاءت ذهبتْ ومن حيث ذهبتْ جاءت. والأدراج الطُّرُق. يُقال رجع على أدراجهِ اي المَوْضع الذي جاء منهُ وقال الراعي:

« لَبِستُ ثَوْبَيَّ واستَمرتُ أدراجي »

وقولهُ كُمَّ السنابك اي قد تمادَتْ سنابكها وذهبت لأكل الطريق لها ولطول السَّفرة عليها. والسَّنَبُك مُقدَّم الحافر. واصل الكَمْش في الانسان ان تمادَّ وتَقْصُر. وبدؤها ابتداؤها. والتعقيب الرجوع والعَطْف

٣) يقال فرس حَتٌّ وسَكْب وغَمْر وبَحر وقَبْض اذا كان جوادًا لا يُجارى. ومُلْبَدُهُ موضع لَبَدهِ ومُحْزَمُهُ موضع حزامهِ ومُعْذَرُهُ موضع عذارهِ. وضافٍ سابغ. والضَّفْو السُّبوغ والفضل من كل شيْ. والسبيب شعر الناصية والذنَب. وأسيل سَهْل طويل ويُشتَحبّ ذلك منهُ. ويَعْبوب كثير الجَرْي. ويقال كريم

٤) قال: ما كان سهل الوجه فليس بأقنى والقنا حدَّة في الانف وهو مذموم في الخيل. ولا أسفى الخفيف شعر الناصية والذَّنَب وهو السَّفا. قال ابو عبد الله اليزيدي: قال احمد بن يحيى: قال ابن الاعرابي: الأسفى ان تكون فيهِ شَعْرة تخالف لونهُ. وسَغِلٌ مهزول. ويقال السَّغِل سوء الغذاء واضطراب الخلق. والقفيُّ الذي يُسقى اللبن ويؤثر بهِ دون السَّكَن وهم اهل البيت. والقُفْوة الخاصَّة. اقتفاهُ اذا اختصَّهُ. قال ابن احمر:

لا يقتفي جمع الشمال اذا هبَّت ولا آفاتُها القُبُرُ

تَمَّ ٱلدَّسِيعُ إِلَى هَادٍ لَهُ بَتِعٍ
فِي جُؤْجُؤٍ كَمَدَاكِ ٱلطِّيبِ مَخْضُوبِ (١
تَظَاهَرَ ٱلنِّيءُ فِيهِ وَهْوَ مُحْتَفِلٌ يُعْطِي أَسَاهِيَّ مِنْ جَرْيٍ وَتَقْرِيبِ (٢
يُحَاضِرُ ٱلْجُونَ مُخْضَرًّا جَحَافِلُهَا
وَيَسْبِقُ ٱلْأَلْفَ عَفْوًا غَيْرَ مَضْرُوبِ (٣
كَمْ مِنْ فَقِيرٍ بِإِذْنِ ٱللهِ قَدْ جَبَرَتْ وَذِي غِنًى بَوَّأَتْهُ دَارَ مَحْرُوبِ
مِمَّا يُقَدِّمُ فِي ٱلْهَيْجَا إِذَا كَرِهَتْ عِنْدَ ٱلطِّعَانِ وَيُنْجِي كُلَّ مَكْرُوبِ (٤
هَمَّتْ مَعَدٌّ بِنَا هَمًّا فَنَبَّهَهَا عَنَّا طِعَانٌ وَضَرْبٌ غَيْرُ تَذْبِيبِ
بِٱلْمُشْرَفِيِّ وَمَصْقُولٍ أَسِنَّتُهَا
عُمْرَ ٱلْعَوَامِلِ صَدْقَاتِ ٱلْأَنَابِيبِ (٥
تَجْلُو أَسِنَّتَهَا فِتْيَانُ عَادِيَةٍ لَا مُقْرِفِينَ وَلَا سُودٍ جَعَابِيبِ (٦

---

١) الدَّسِيع المُنق. ويقال مَغرز المُنق. عُمارة: الدسيع النقَس (كذا). والبَتِع طول الدُنق. والهادي المُنق وهادي كلّ شيء اوّلهُ. وجؤجؤهُ صدرهُ. المداك الصلاية. اراد أملسَ سهلًا. وروى عُمارة: هادٍ لهُ تَلِع

٢) عمارة: ينمي اساهيٌّ. النِّيء الشحم. مُحتفل. مربع. اساهيٌّ ضروب من الجَرْيِ سمت سَعْدان يقولَ: قال الاصمعيّ: العرب تقول فَرَسٌ ذو أساهيّ اي عنده ضروب من الجري

٣) الجُون الحُمر في ألواحا. مُخضَّرًا جحافلُها من أكل الرُطب. ويَسْبق الألف اي يفُوقها على رسلهِ ولم يجِج

٤) يُقدِّم فلرسُهُ. عُمارة: مِمَّا يُقدِّم

٥) المُشرَفيَّة السُّيوف نُسبت الى قرًى بالشام يُقال لها المَشارف. والعامل من الرماح الثُلث الذي يلي السنان. والصَّدَق الصُّلب من كل شيء. والأنابيب الكعوب

٦) المُقرف الذي أُمُّهُ عربيَّة وابوهُ ليس بعربيّ. والمجبين الذي ابوهُ عربيّ وأُمُّهُ ليست عربيَّة. قال عُمارة: المجبين الذي ليس أمرُه بصحيح

سَوَّى ٱلثِّقَافُ قَنَاهَا فَهْيَ مُحْكَمَةٌ قَلِيلَةُ ٱلزَّيْغِ مِنْ سَنٍّ وَتَرْكِيبِ(١
كَأَنَّهَا بِأَكُفِّ ٱلْقَوْمِ إِذْ لَحِقُوا مَوَاتِحُ ٱلْبِرِّ أَوْ أَشْطَانُ مَطْلُوبِ(٢
كِلَا ٱلْفَرِيقَيْنِ أَعْلَاهُمْ وَأَسْفَلُهُمْ شُجٌ بِأَرْمَاحِنَا غَيْرَ ٱلتَّكَاذِيبِ
إِنِّي وَجَدْتُ بَنِي سَعْدٍ فُضَيْلُهُمْ كُلُّ شِهَابٍ عَلَى ٱلْأَعْدَاءِ قُرْضُوبِ
إِلَى تَمِيمٍ حُمَاةِ ٱلثَّغْرِ نِسْبَتُهُمْ
وَكُلُّ ذِي حَسَبٍ فِي ٱلنَّاسِ مَنْسُوبِ(٣
قَوْمٌ إِذَا صَرَّحَتْ كَحْلٌ بُيُوتَهُمُ عِزُّ ٱلذَّلِيلِ وَمَأْوَى كُلِّ قُرْضُوبِ(٤
يُنْجِيهِمِ مِنْ دَوَاهِي ٱلشَّرِّ إِنْ أَزَمَتْ عَبْرٌ عَلَيْهَا وَقَبْضٌ غَيْرُ مَحْسُوبِ(٥
كُنَّا نَحُلُّ إِذَا هَبَّتْ شَآمِيَةٌ بِكُلِّ وَادٍ حَطِيبِ ٱلْبَطْنِ مَجْدُوبِ(٦

---

١) الثقاف خشبة يُقوَّم بها القناة. والزَّيْغ الاعوجاج. والسَّنّ التحديد. يقال سَنَنْتُ النصلَ أَسُنُّهُ سَنًّا وَنَحَتُّهُ وَوَقَمْتُهُ اي أَحْدَدْتُهُ كل ذلك سواء

٢) كأنَّها يعني الرماح. والمَوَاتح البَكَرات التي يُمتَح عليها. والأشطان الحبال الواحد شَطَن. ومَطلوب ماء معروف. مطلوب بئر لبني كِلاب بن مُرّة

٣) قال: الثَّغْر ان يكون الوادي خصيب البطن مَخُوفًا فيَتحاماهُ الناس فيَرعاهُ اهلُ الدِّرّ

٤) صَرَّحت بَيِّنتْ لم يكن فيها غيم ولا مطر ولا وَذي. والكَحْل السَّنَة الشديدة. ويروى: اذا أصبحت كحلاء بؤسُهم لم يكن الّا قدر ما تُكحَل به العين. وقولهُ « مأوى كل قرضوب » فالقراضبة اللصوص ويقال اهل الفقر والحاجة. ويقال صعلوك فقير

٥) أَزَمَت اشتدَّت. والقَبْض العَدَد الكبير. وغير محسوب لكثرته. عُمارة: اي اذا أزمت السَّنَة يَفضُلون ويُعطون

٦) قال الاصمعيّ: يقول نحل بكُلّ وادٍ كثير الحَطَب لنقر ونطيخ ولا نبالي ان يكون مجدوبًا. والمجدوب المذموم المسبب وانشد لذي الرمّة:

فيا لك من خِدْرٍ أَسِيلٍ ومَنْطِقٍ رخيمٍ ومن خَلْقٍ تَلَلْتَ جادِبُهْ

ورُوي: من وجهٍ. جادِبُهْ اي عائبُهُ قال ابو عمرو: مجدوب مسبب وانشد:

أبارِقَ اني لا أُريد أذاكُمُ ولا ضَرْبكم ما لم تُعينوا على جَدْبي

اي عَيْبي. ويروى: خصيب البطن. فمن روى خصيب يقول هذا الوادي فيهِ مَرعًى ونبات فهو ثَغْر يتحاماه الناس فنحنُ نحلهُ ونرعى ما فيهِ لعزّنا

شِيبِ ٱلْمَبَارِكِ مَدْرُوسٍ مَدَافِعُهُ هَابِي ٱلْمَرَاغِ قَلِيلِ ٱلْوَدْقِ مَوْظُوبِ (١
كُنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِخٌ فَزِعٌ كَانَ ٱلصُّرَاخُ لَهُ قَرْعَ ٱلظَّنَابِيبِ (٢
وَشَدَّ كُورٍ عَلَى وَجْنَاءَ نَاجِيَةٍ وَشَدَّ لَبْدٍ عَلَى جَرْدَاءَ سُرْحُوبِ (٣
يُقَالُ مَحْبِسُهَا أَدْنَى لِمَرْتَعِهَا وَلَوْ تَمَادَى بِبُكْءٍ كُلَّ مَحْلُوبِ (٤

١) قال الاصمعي: المبارك يعني مبارك هذه الوادي قد ايبضّت من الحذب. ومدروس مدافعهُ اي اودبهُ التي كانت يكون بها النبت قد درست اي دقّت ووطئت وأكل نبتها. وهابي المراغ اي مُنتفخ التراب لا يترغ فيهِ بعير قد تُرك لخونه. الهابي التراب. والمراغ التراب. قال ابو عمرو: شيب ليس بهِ كلا ولا عُشر شيءٌ فهو ابيض. وموظوب واظبوا عليهِ حتى أكل ما فيهِ ويكون من واظبتُ عليهِ السنون. الدرس الدياس عند اهل الشام والعراق وانشد لابن ميّادة:

يكفيك من بعض أزديارِ الآفاقْ سَمْراء بِمَا دَرَسَ ابنُ مِخْرَاقْ

سمراء حنطة. درس داس

٢) قال الاصمعيّ: يقال ضربَ لهذا الامر ظُنبوبَهُ اذا هو جدّ فيهِ فأراد ان يقول ساقًا فقال ظنبوبًا. والظنبوب الساق ويقال عظم الساق. يقول اذا اتانا صارخ عزمنا على مشيهِ والقتال معه. قال ابو عمرو: والظنبوب الساق. (قال) اذا ارادوا ان يذبحوا البعير فيسر عليهم ضربوا ظنبوبَهُ فيبرك. يقول اذا اتانا صارخ أنخنا الابل ثم ركبنا. ويروى: كانت إناخَتُنا. ومعنى نحوٌ من قول ابن الاعرابي وانشد:

اذا استرخت عِمادُ الحيّ شُدَّت ولا تُثنى لفاشيةٍ وظيفُ

يقال جعل امرهُ على ظنبوب ساقهِ وعلى حَبْلِ ذراعهِ اذا اعتزم عليهِ وهمّ بهِ وقال النابغة:

وقد جعلوا المصاعَ على الذراعِ

٣) الكُور الرَحْل والجمع أكوار. ووجناء غليظة ويقال كأنّها الوجيف من الارض. ويقال كأنّها وُجئت بالمواجن اي دُقّت ويقال الغليظة. وجرداء قصيرة الشعر. وسرحوب طويلة

٤) قال الاصمعيّ: يقول اذا تركنا الشر فحبسنا بهِ الابل حتى تخصب وتُخاب قال النابغة: تحبيس هذه الابل على دار الحفاظ ادنى لان تنال المرعى وان كنّ قد تمادين بِبُكْءٍ اي تواليْنَ. والبُكْء قلّة اللبن يقال بَكُؤَت الناقة والشاة وهي ناقة بكيء ويقال بَكَأَتْ ايضًا. قال ابو عمرو: وتحبيسها ادنى لمرتعها يقول: قد اناخوا للقتال فرتعُها ادنى لان ترعى. تمادى أعدت هذه هذه. وتمادى اي كان واحد بعد الاخر. وقولهُ «ببكء» يقال بَكُؤَت الناقة اذا ذهب لبنها يقول: وان ذهب لبنها احتسوا لأنّهم في حفاظ. ويقال: قولهُ «تحبيسها» يقول المرتع والمحبس سواء لجدبهِ فتُحبَس في ازناء وترتعهُ سواء وان جعلتَ هذه تمدي هذه في قلّة اللبن واذا أعدت هذه هذه في قلّة اللبن فهو ضير

حَتَّى تَرَكْنَا وَمَا تُثْنَى ظَعَائِنُنَا يَأْخُذْنَ بَيْنَ سَوَادِ الْخَطِّ فَاللُّوبِ (١

وقال (من الكامل)

هَاجَ الْمَنَازِلَ رِحْلَةُ الْمُشْتَاقِ دِمَنٌ وَآيَاتٌ لَبِثْنَ بَوَاقِ (٢
لَبِسَ الرَّوَامِسُ وَالْجَدِيدُ بَلَاهُمَا فَتَرَكْنَ مِثْلَ الْمُهْرَقِ الْأَخْلَاقِ (٣
لِلْحَارِثِيَّةِ قَبْلَ أَنْ تَنْأَى النَّوَى بِهِمِ وَإِذْ هِيَ لَا تُرِيدُ فِرَاقِي (٤
وَمَجَرِّ سَارِيَةٍ تَجُرُّ ذُيُولَهَا نَوْسَ الْتَمَامِ يُنَاطُ بِالْأَعْنَاقِ (٥
مِصْرِيَّةٍ نَكْبَاءَ أَعْرَضَ شِيمُهَا بِأَشَابَةٍ فَزَرُودَ فَالْأَفْلَاقِ (٦
هَتَكَتْ عَلَى عُوذِ النِّتَاجِ بُيُوتَهَا فَيَقَمْنَ لِلرُّكَبَاتِ وَالْأَرْوَاقِ (٧
فَتَرَى مَذَانِبَ كُلِّ مُدْفِعِ تَلْعَةٍ عَجِلَاتُ سَوَافِيهَا مِنَ الْإِتَاقِ (٨

---

١) ويروى : يلكن بين سواد الخط . قال رسول الله صلعم لاصحابه الله فسعد لا تصاعد ابدًا الا رجمهن الله لا يقطعون دارهم مصدين (*) . والخط موضع يقال أنهُ مرفأ سفن الرياح . واللوب جمع لأبة ويقال لُوبة وهي الحرَّة

٢) الدمنة آثار الناس وما سود . وآيات علامات وآثار

٣) الرَّوامس الرياح التي تأتي بالتراب فترمس به كل شيء اي تدفنهُ وتغطيهِ . والجديد الدهر . والمهرَاق الصحيفة . قال ابو سعيد الاصمعي : المهارق خُرَق كانت العرب تسلقها وتكتبُ فيها يقال لها بهر كرد فارسي معرب

٤) تنأى تبعد . والنَّوى البَيْن وهو وَجْهُها وحيث توت أنْ تاخذ

٥) سارية سحابة تأتي ليلًا والجمع سوار . وغادية تأتي بالغداة . ورائحة تاتي عشيًا وذيولها مآخيرها . (قال) تكون للسحابة المرتفعة أخرى دونها فذلك ذيلُها . والنَّوس التعليق . يُناط يعلَّق . قال السحابة تُشبَّه بالنعام . والمنوط المعلَّق في استرخاء

٦) مصريَّة اي سحابة جاءت من نحو مصر . شيمُها مطرُها

٧) هَتَكَت دخلت عليهنَّ . والعُوذ جمع عائذ وهي الحديثة النتاج . والأرْواق القُرون الواحد رَوْق

٨) المَذانب الواحد مَذْنَب وهي مجاري الماء الى الرياض قال :

ومساه الندى يجري على كل مَذْنَب

والتَّلْعة مسيل مرتفع الى بطن الوادي . والإتاقُ الامتلاء . وعجلت من العجلة اي جاءت بالماء سريعًا

(*) هذه العبارة في الاصل مشوَّهة لا يُستخرج لها معنًى وربناها كما نسخها الناسخ

فَكَأَنَّ مَدْفَعَ سَيْلِ كُلَّ دَمِيثَةٍ ... يُعْلَى بِذِي هُدْبٍ مِنَ الْأَعْلَاقِ (١)
مِنْ نَسْجِ بُصْرَى وَالْمَدَائِنِ نُشِرَتْ ... لِلْبَيْعِ يَوْمَ تَحَضُّرِ الْأَسْوَاقِ (٢)
فَوَقَفْتُ فِيهَا نَاقَتِي فَتَحَنَّنَتْ ... لِهَوَى الرِّوَاحِ تَتُوقُ كُلَّ مَتَاقِ (٣)
حَتَّى إِذَا هِيَ لَمْ تُبِنْ لِمَسَائِلٍ ... وَسَعَتْ رِيَاحُ الصَّيْفِ بِالْأَصْيَاقِ (٤)
أَرْسَلْتُ هَوْجَاءَ النَّجَاءِ كَأَنَّهَا ... إِنْ هَمَّ أَسْفَلُ حَشْوِهَا بِنِفَاقِ (٥)
مُتَخَرِّقٌ سَلَبَ الرَّبِيعُ رِدَاءَهُ ... صَخِبُ الظَّلَامِ يُجِيبُ كُلَّ نِهَاقِ (٦)
مِنْ أَخْدَرِيَّاتِ الدَّبَا الْتَفَعَتْ لَهُ ... بُهْمَى الْقِفَاعِ وَلَجَّ فِي إِخْنَاقِ (٧)
صَخِبُ الشَّوَارِبِ وَالْوَتِينِ كَأَنَّهُ ... مِمَّا يُفَرِّدُ مُوهِنًا بِخِنَاقِ (٨)

١) دَمِيثة ارض سَهْلة لَيِّنة . الأعلاق متاع الرَّحْل وما عُلِّق عليه من المهون .
٢) بُصرى قرية بالشام
٣) تحنَّنت من الحَنين . تَتُوق تَشتاق
٤) قال ابو عمرو : الأصياق واحدها صِيق وهو الغُبار
٥) هوجاء فيها صَجْرَقيَّة من نشاطها . والنَّجاء السُّرعة . وحشوها وَبْرُها . ونِفَاق ذهاب . يقول سقط وَبْرُها وحشوها لما عُلِفت به وما في بَطْنها من المَلَف وانشد :

جاريةٌ من ساكني العراق ... لَبَّاسةٌ للْحُلَل الرِّقاقِ
تَفْتَرُّ عن ذي أُشُرٍ بَرَّاقِ ... أَبْيَضَ ثَوْبَيها إليها الباقِ
تُنْفِق من كَسْبِ امرئٍ ورَّاقِ ... قد أَيْقَنَت ان مات بالنِّفاقِ
فَهْوَ عليها هَيِّنُ الفراقِ

ورَّاق كثير الورق . وقولهُ « أَبْيَضُ اليها ثَوْبَيها اليها الباقي » يقول تُمَزِّق ثيابها مضارة لهُ ان مات بالنفاق . يَقُول اذا ورثت مالهُ نفقت عند الرجال . قال ابو عبد الله انشدني هذه الابيات محمد بن الحسن الاحول

٦) ويروى : مُتَخَرِّق أكل الربيع . ردائهُ وَبْرُهُ . . . . . .
٧) الاخدريات حُمُر منسوبة الى فحل ضرب في الحُمُر يقال لهُ الأخدر . والبهمى ضرب من النبات . والقِفاع جمع قَفْع وهو القاع من الارض . ويروى : جُمُّ الْبِقاع . والإخناق الضمر . والتفَّت لهُ اي التفت لهُ النبات . والدَّبا موضع
٨) صَخِب الشَّوارب اي كثير الصِّياح . والشوارب مجاري الماء من حلقهِ ويقال من فمه وحلقه وجَوْفه اجمع . والوتين عِرْق مَنُوط بالقلب وهو من القَلْب الى الصُّلْب ويُفَرِّد يُصَوِّت وموهنًا بَعْد ساعة من الليل

في عَانَةٍ شُزُبٍ أُشِدَّ جِحَاشُهَا ... شُزُبٍ كَأَقْوَاسِ السَّرَاءِ دِقَاقِ (١
وَكَأَنَّ رِهَتَهَا إِذَا نَبَهْتَهَا ... كَأْسٌ يُصَفَّقُهَا لِشُرْبِ سَاقِ (٢
صِرْفٌ تَرَى قَمْرَ الْإِنَاءِ وَرَاءَهَا ... تُودِي بِعَقْلِ الْمَرْءِ قَبْلَ فُوَاقِ
يَأْسَى لِلَذَّتِهَا إِصَابَةَ حِلْمِهِ ... فَيَظَلُّ بَيْنَ النَّوْمِ وَالْإِطْرَاقِ
فَتَرَى النَّعَاجَ بِهَا تَمْشِي خَلْفَهُ ... مَشْيَ الْعِبَادِيِّينَ فِي الْأَسْوَاقِ
يَسْمُرْنَ وَحْنًا فَوْقَهُ مَاءُ النَّدَى ... وَالنَّبْتُ كُلُّ عِلَاقَةٍ وَنِطَاقِ (٣
وَلَقَدْ هَبَطْتُ الْغَيْثَ حَلَّ بِهِ النَّدَى ... يَرْفُقْنَ فَاضِلَهُ عَلَى الْأَشْدَاقِ (٤
أَهْدَى بِهِ سَلَفًا يَكُونُ حَدِيثُهُمْ ... خَطَرًا وَذِكْرَ تَغَامُزٍ وَسِبَاقِ (٥
حَتَّى إِذَا جَاءَ الْمُثَوِّبُ قَدْ رَأَى ... أَسَدًا وَطَالَ نَوَاجِذُ الْمِفْرَاقِ (٦
لَبِسُوا مِنَ الْأَنْدِيِّ كُلَّ مُفَاضَةٍ ... كَالنَّهْيِ يَوْمَ رِيَاحِهِ الرِّقْرَاقِ (٧
مِنْ نَسْجِ دَاوُدٍ وَآلِ مُحَرِّقٍ ... غَالٍ غَرَائِبُهُنَّ فِي الْآفَاقِ
وَمَنَحْتُهُمْ نَفْسِي وَآمَنَةَ الشَّظَا ... جَرْدَاءَ ذَاتِ كَرِيهَةٍ وَنِزَاقِ (٨

---

١) العانة الجماعة من حمر الوحش. والشزب والشاسب والشاسف كل هذا الضامر. أشد طرد وعدو. والسراء شجر تكون منه القسي. ويروى « شُصُص » وهي التي لم تحمل وهي النحاص.

٢) يصفقها يمزجها

٣) يسمرن يأكلن. سمرت الشيء أكلته. والوحف السير. والعلاقة ما أكلته. والعلاقة علاقة السوط والقدح. والعلاقة علاقة الحبل. والنطاق ما التفت عليه شبه النطاق

٤) الغيث النبت. يرفقن اي يأكلن يقال انه ليرفق اي يأكل. فاضله ما فضل منه

٥) السلف المتقدمون. والخطر الشرف. وقال ابو عمرو: الخطر ما يتخاطرون عليه بينهم

٦) المثوب الداعي الى الحرب. والمفراق الحيات الاشد خوفا. وطال نواجذه قلصت شفاه نبدت

٧) المفاضة درع بيض وبقال ليّنة. ومفاضة طويلة. كالنهي اي كالغدير. ورقراق يترقرق فيه الماء

٨) الشظا عظم لاصق بالرسغ. والنزاق اول حربة. وقوله « ذات كريهة » يكرهها على العدو لانها قوية تقوى على اكراهه اياها

كَالصَّعْدَةِ الْجَرْدَاءِ أَمَّنَ خَوْنَهَا لُطْفُ الدَّوَاءِ وَأَكْرَمُ الْأَعْرَاقِ (١
تَنْشَأُ الْجِيَادَ فَيَعْتَرِفْنَ لِشَأْوِهَا وَإِذَا شَأَوْا لَحِقَتْ بِحُسْنِ لِحَاقِ (٢
وَأَصَمَّ صِدْقًا مِنْ رِمَاحِ رُدَيْنَةٍ بِيَدَيْ غُلَامٍ كَرِيهَةٍ مِخْرَاقِ (٣
شَاكٍ يَشُدُّ عَلَى الْمُضَافِ وَيَدَّعِي إِذْ لَا تُوَافِقُ شُعْبَتَا الْإِيفَاقِ (٤
إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ عُصْبَةٍ سَعْدِيَّةٍ ذَرِبِ الْأَسِنَّةِ كُلَّ يَوْمِ تَلَاقِ (٥
لَا يَنْظُرُونَ إِذَا الْكَتِيبَةُ أَحْجَمَتْ نَظَرَ الْجَمَالِ كُرِبْنَ بِالْأَسْوَاقِ
يَكْفُونَ غَائِبَهُمْ وَيُقْضَى أَمْرُهُمْ فِي غَيْرِ نَقْضٍ مِنْهُمْ وَشِقَاقِ (٦
وَالْخَيْلُ تَعْلَمُ مَنْ يَبُلُّ نُحُورَهَا بِدَمٍ كَمَاءِ الْمَنْدَمِ الْمِهْرَاقِ (٧

وقال (من الكامل)

لِمَنْ طَلَلٌ مِثْلُ الْكِتَابِ الْمُنَمَّقِ خَلَا عَهْدُهُ بَيْنَ الصُّلَيْبِ فَمُطْرِقِ (٨
أَكَبَّ عَلَيْهِ كَاتِبٌ بِدَوَاتِهِ وَحَادِثُهُ فِي الْعَيْنِ جِدَّةُ مُهْرَقِ (٩

---

١) الصَّعْدَة الْقَنَاة كلُّها. ولُطف الدواء اي قيامُهُ عليها بالسَّلَف والسَّقْي. والجَرْداء نَعْت الصَّعْدة

٢) تَنْشَأ تسبق. يعترفنَ اي يُقرِرنَ لها بذلك

٣) اسمُ رُمح. وصِدْق صَلِب. ورُدَيْنة اسم امرأة نُسبت اليها الرِّماح. ومِخراق يَخرُق في المرّوف

٤) شاكٍ حديد السلاح. والمُضاف الذي أضافَتْهُ الرماح. يقول يَشُدُّ فيترعهُ. وقولهُ « شُعْبَتا الايفاق » يقول هما اللّتان فَوق الريش. والإيفاق الذي يجعل الفُوق في الوَتَر وذلك من الجذع. ويقال المضاف المُدرك الملجأ. ويقال المضاف المـال الذي جُمع قريباً من الرحال فياخذه

٥) ذُرِب الأَسِنَّة محدَّدة. وذُرِب ايضاً مستادر الذُّراب اي السمّ

٦) اي مَنْ حضر يكفي مَنْ غاب ٧) المَندم دم الأخوين

٨) الصُّلَيب ومُطرق موضعان. منسَّق موشّى محسَّن. يقال نَمَّقهُ اذا حسَّنه

٩) حادثهُ اي حادثُ ذلك الرَّسْم كأنهُ جدة لباب(؟). وحادثهُ اي جديدهُ كأنهُ يُمَدّد في عينيّ. ومُهرَق صحيفة

لِأَسْمَاءَ إِذْ تَهْوَى وِصَالُكِ إِنَّهَا
كَذِي جُدَّةٍ مِنْ وَحْشِ صَارَةَ مُرْشِقِ (١

لَهُ بِقِرَانِ الصَّلْبِ بَقْلٌ لَمْسُهُ وَإِنْ يَتَقَدَّمْ بِالدَّكَادِكِ يَأْنَقِ (٢
وَقَفْتُ بِهَا مَا إِنْ تُبِينُ لِسَائِلٍ وَهَلْ تَفْقَهُ الصُّمُّ الْخَوَالِدُ مَنْطِقِي
فَبِتُّ كَأَنَّ الْكَأْسَ ظَالَ اعْتِيَادُهَا عَلَيَّ بِصَافٍ مِنْ رَحِيقٍ مُرَوَّقِ (٣
كَرِيحِ ذَكِيِّ الْمِسْكِ بِالْمَلِّ رِيحُهُ يُصَفَّقُ فِي إِبْرِيقِ جَعْدٍ مُنَطَّقِ (٤
وَمَاذَا تُبْكِي مِنْ رُسُومٍ مُحِيلَةٍ خَلَاءٍ كَسَحْقِ الْيَمْنَةِ الْمُتَمَزِّقِ
أَلَا هَلْ أَتَتْ أَنْبَاؤُنَا أَهْلَ مَأْرِبٍ كَمَا قَدْ أَتَتْ أَنْبَاؤُنَا أَهْلَ مَأْرِقِ (٥
بِأَنَّا مَتَعْنَا بِالْفُرُوقِ نِسَاءَنَا وَنَحْنُ قَتَلْنَا مَنْ أَتَانَا بِمُلْزَقِ (٦
تُبَلِّغُهُمْ عِيسُ الرِّكَابِ وَشُوهُهَا قَرِيبِيَّ مَعَدٍّ مِنْ تِهَامٍ وَمُعْرِقِ (٧
وَمَوْقِفُنَا فِي غَيْرِ دَارِ تَنِيَّةٍ وَمَلْحَفُنَا بِالْعَارِضِ الْمُتَأَلِّقِ (٨

---

١) في الاصل المنقول منهُ من وحش ضاحة . ويُروى : لاسماء اذ يَسْبي وصالكَ دَلُّها . المُرْشِق الظَّبْيَة المادَّة عنقها الناظرة وهي احسن ما يكون . ويقال سُرْشِق تَرْشِقك بعينها كما يرشق صاحب النَّبل اي يُصيب شيئًا

٢) اللَّمسُ الأخذ باللسان . والدكادك رَوابٍ لينة . يأنق يُصيب شيئًا يعجبه

٣) اعتيادُها أي أُعيدت عليهِ مرَّة بعد مرَّة . والرَّحيق الخمر . مروَّق مصفًّى والرَّاووق المصفاة

٤) يقول ريح هذا الرحيق كريح المسك . جعد غلام جعد اي . يُصفَّق من اناء الى اناء ليصفوَ

٥) ويروى : اهل الدَّيا والمورَنق . أنباؤنا أخبارُنا . المَوْرَنق بالكوفة ومأرب باليمن

٦) الفروق يوم . مُلزَق ارض

٧) الشُّوهُ السوء . والعيس (الابل) البيض تخالطها حمرة . قال عُمارة : وشُوهُها اي سَيْرها . ومُعرق يأتي العراق او يكون به

٨) تنيَّة ثنيَّة فلك وثلبك . مُتألق يبرق ويُضيء . يقال تألَّقت تألُّقًا وانتظرتُ وتأنَّيت توخَّيتُ وتَمهَّلتُ . والعارض الجيش شُبِّه بالعارض من السحاب

إذا ما علونا ظهر نشز كأننا ... على أنعام مناقيض بيض مفلق (١
من الخمس إذ جاؤوا إلينا بجمعهم ... غداة لقيناهم بجأواء فيلق (٢
كأن العمائم باض فوق رؤوسهم ... بنهي القذاف أو بنهي مخفق (٣
ضممنا عليهم حافتيهم بصادق ... من الطعن حتى أزمعوا بتفرق (٤
كأن مناخا من قيون ومنزلا ... بحيث التقينا من أكف وأسوق (٥
كأنهم كانوا ظباء بصفصف ... أفاءت عليهم غبية ذات مصدق (٦
كأن اختلاء المشرفي رؤوسهم ... هوي جنوب في يبيس محرق (٧
لدن غدوة حتى أتى الليل دونهم ... ولم ينج إلا كل جرداء خيفق (٨

١) ويروى ظهر تذل كأنها. والنمل الجرة. والنشز ما غلظ من الارض وارتفع. والمناقيض نثر البيض شبه بيض الحديد به

٢) قال ابو عمرو: الخمس من قريش ومن خزاعة و بني عامر وكنانة. وانما كانوا في بني عامر لانهم ولدتهم امرأة من قريش يقال لها مجد بنت الأدرم بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة. ومن لم يكن من ولد النضر فليس من قريش. وكذلك ثقيف وخزاعة وكنانة وانما سموا خمسا لأنهم كانوا لا يلتطرن البر ولا يسلأون السمن ولا يدخلون البيوت الا من ابوابها ويطوفون بالبيت عراة. وجأواء كتيبة في لونها سواد. الاصمعي: الجأواء التي علاها لون السواد والصدأ. وقال الخمس ناس من قريش وكنانة وخزاعة والحرث والاحابيش. وبنو عامر ابن صعصعة كانوا لا يقيمون بمكة وكانوا يحرمون اشياء على انفسهم دين كان لهم. والحمسة الحرمة اشتقت من حمة قريش. فيلق كتيبة عظيمة

٣) شبه البيض على رؤوسهم ببيض النعام في الملاسة وصفائه

٤) صادق صلب. والصدق الصلب من كل شيء. أزمعوا بتفرق اي عزموا

٥) شبه الاكف والأسوق التي قطعت بمناخ قيون نصل السيوف كأنه اراد قطع الحديد وتاعهم

٦) الصفصف ما استوى من الارض ولا رمل فيه. أفاءت رجعت. وغبية دفعة من مطر. يقول كأنهم اصابتهم دفعة من مطر فرقتهم

٧) الاختلاء الاقتطاع والقطع. يقول تكون السيوف لرؤسهم بمنزلة الحلا. والهشيم اليابس

٨) خيفق سريعة وخيفق فيعل من الخفق والخفق شدة ضرب الطائر بجناحيه. يقال خفق وأخفق. وخفق فؤاد الرجل يخفق وخفقته بالسوط خفقات وأخفقت السرية اذا خابت

وَمُسْتَوْعِبٍ فِي ٱلْجَرْيِ فَضْلَ عِنَانِهِ كَمَرِّ ٱلْغَزَالِ ٱلشَّادِنِ ٱلْمُتَطَلِّقِ (١
فَأَلْفَوْا لَنَا أَرْسَانَ كُلِّ نَجِيبَةٍ وَسَابِغَةٍ كَأَنَّهَا مَتْنُ خِرْنِقِ (٢
مُدَاخَلَةٍ مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ سَكُّهَا كَحَبِّ ٱلْجُنَا مِنْ أَبْلَمٍ مُتَفَلِّقِ (٣
فَمَنْ يَكُ ذَا ثَوْبٍ تَنَلْهُ رِمَاحُنَا وَمَنْ يَكُ عُرْيَانًا يُوَائِلْ فَيَسْبِقِ (٤
وَمَنْ يَدَّعُوا فِينَا يُمَاشِرْ نَسِيئَةً وَمَنْ لَا يُنَالُوا بِٱلرَّغَائِبِ نَعْنَقِ
وَأُمِّ بُجَيْرٍ فِي نَمَارِسَ بَيْنَنَا مَتَى تَأْتِهَا ٱلْأَنْبَاءُ تَخْمِشْ وَتَحْلِقِ
تَرَكْنَا بُجَيْرًا حَيْثُ أَزْحَفَ جَدُّهُ وَفِينَا فِرَاسٌ عَانِيًا غَيْرَ مُطْلَقِ (٥
وَلَوْلَا سَوَادُ ٱللَّيْلِ مَا آبَ عَامِرٌ إِلَى جَعْفَرٍ سِرْبَالُهُ لَمْ يُخَرَّقِ (٦
بِضَرْبٍ يَظَلُّ ٱلطَّيْرُ فِيهِ جَوَانِحًا وَطَعْنٍ كَأَفْوَاهِ ٱلْمَزَادِ ٱلْمُفَتَّقِ (٧
فَمِزَّتُنَا لَيْسَتْ بِشِعْبٍ بِحَرَّةٍ وَلٰكِنَّهَا نَحْرٌ بِصَحْرَاءَ فَيْهَقِ
يُمَصُّ بِٱلْبُوصِيِّ فِيهِ غَوَارِبٌ مَتَى مَا يَخُضْهَا مَاهِرُ ٱللُّجِّ يَغْرَقِ

١) مستوعب مستوفٍ جريَهُ عنانهِ . المُطلق السريع . ويروى : ومستوعب فضل الجزامتين سابغ . والشادن الذي قوي

٢) ويروى : أرسان كل طِمِرّة . والخِرْنِق ولد الارنب . فألفوا لنا اي خلّوا لنا . سابغة درع . والدرع تشبه بمتون الخرانق في لينها وملاستها قال الراجز :

لينة المسّ كمتن الخرنق

٣) سكّها مسارُها . والجُنا شجر . أبلم نبتٌ واحدها أبلمة . وامّا قولهم « المالُ بيني وبينك شقُّ الابلمة » فهو الخُوصة . وروى الاصمعيّ : سكّها كمنكب ضاحٍ من عاية مشرق . (قال) السكُّ المسار في خروق الدرع يقال احكم سكّها اي سمّرها . فيقول يبرق كما يبرق من عاية . وعاية جبل

٤) اي من كان ذا سلاح نالتهُ رماحُنا ومن طرح الينا سلاحهُ ونكمّش نجا . يقال « كمش فلان دلاديلهُ » إذا ضمّ ثيابهُ وعدا . ويقال رجل كَمِش وكَمِش اذا كان سريعاً في الحاجة . وشاة كَمِشة اذا كانت صغيرة الضرع

٥) بُجَيْر وفراس ابنا عبد الله بن سَلَمة . اي تركناهُ عانياً فينا اي اسيراً

٦) سربالهُ قميصهُ . وقولهُ آب اي رجع

٧) جوانحُ اي دَوانٍ من الارض . مدح فيها عمرًا وحنظلة ولكن قلبها بنو سعد لها (؟)

وَمَجْدُ مَعَدٍ كَانَ فَوْقَ عَلَايَةٍ سَبَقْنَا بِهِ إِذْ يَتْقُونَ وَنَرْتَقِي
إِذَا ٱلْهِنْدُوَانِيَّاتُ كُنَّ عِصَابَنَا بِهَا تَأْيَا كُلَّ شَأْنٍ وَمَفْرِقِ (١
نُجَلِّي مِصَاعًا بِٱلسُّيُوفِ وُجُوهَنَا إِذَا ٱعْتَفَرَتْ أَقْدَامُنَا عِنْدَ مَأْزِقِ
فَخَرْتُمْ عَلَيْنَا أَنْ قَتَلْتُمْ فَوَارِسًا وَقَوْلُ فِرَاسٍ هَاجَ فِعْلِي وَمَنْطِقِي
عَجِلْتُمْ عَلَيْنَا حُجَّتَيْنِ عَلَيْكُمُ وَمَا يَشَإِ ٱلرَّحْمَٰنُ يَعْقِدْ وَيُطْلِقِ (٢
هُوَ ٱلْكَاسِرُ ٱلْمَظْمَ ٱلْأَمِينَ وَمَا يَشَأْ مِنَ ٱلْأَمْرِ يَجْمَعْ بَيْنَهُ وَيُفَرِّقِ
هُوَ ٱلْمُدْخِلُ ٱلنُّعْمَانَ بَيْتًا سَمَاؤُهُ نُحُورُ ٱلْفُيُولِ بَعْدَ بَيْتِ مُسَرْدَقِ (٣
وَبَعْدَ مُصَابِ ٱلْمُزْنِ كَانَ يَسُوسُهُ وَمَالِ مَعَدٍ بَعْدَ مَالٍ مُحَرَّقِ
لَهُ فَخْمَةٌ ذَفْرَاءُ تَنْفِي عَدُوَّهُ كَمُنْكِبِ ضَاحٍ مِنْ عَمَايَةَ مُشْرِقِ (٤

*) أسر عمرو بن ابي ربيعة بن خويلد وقُتلت منهم قتلى كثيرة. فقال الاحدب ابن اخي ربيعة بن جراد :

ذاك وعمّي يوم جيش مُلْزَق لاق قطيناً فوق ظهر الأبلق
فاختلفا الطعن وضرب الأسوق ثمّ علاه بحسام محذق
يحتثُّ كلَّ ساعدٍ ومرفق

وقال في ذلك سلامة بن جندل:

« لمن طالَ مثل الكتاب الشَّقي » (القصيدة)

وقال (طويل)

لَوْ كُنْتُ أَبْكِي لِلْحُمُولِ لَشَاقَنِي لِلَيْلَى بِأَعْلَى ٱلْوَادِيَيْنِ حُمُولُ

---

١) الشأن شعب الراس. وتأيا تتأد وتقصد — ٢) حُجَّتَيْن سنتين كانتا عليهم

٣) قال ابو عمرو: كان كِسْرى حبس النُّعمان في بيتٍ فيه ثلثة فيول. مُسَرْدَق سُرادق وعليه سرادق

٤) فخمة كتيبة ضخمة وذفراء سهكة من ريح الحديد. وضاح ما برز للشمس. وعمايَة جبل. يقول هذه الكتيبة بمنزلة ما ضحى من عماية للشمس واشرق. الذَّفر كل ريح ذكية من طيّب او نتن. ذفراء منتنة من الحديد

*) هذه الحاشية وردت في آخر الديوان وعلاقتها مع هذه القصيدة ظاهرة فأثبتناها هنا

يُطَالِعْنَا مِنْ كُلِّ جِذْعٍ مُخَدَّرٍ أَوَانِسُ بِيضٌ مِثْلُهُنَّ قَلِيلُ
يُشَبِّهُهَا الرَّائِي بِهَا بِصَرِيمَةٍ عَلَيْهِنَّ فِيْنَانُ الْغُصُونِ ظَلِيلُ (١)
عَقِيلَتُهُنَّ الْهَيْجَمَانَةُ عِنْدَهَا لَنَا لَوْ تُحَيَّا نِعْمَةٌ وَمَقِيلُ (٢)
وَفِتْيَانِ صِدْقٍ قَدْ بَنَيْتُ عَلَيْهِمِ بِنَاءً بِوَمَاةِ الْفَلَاةِ يَجُولُ
كَمَا جَالَ مُهْرٌ فِي الرِّبَاطِ يَسُوقُهُ عَلَى الشَّرَفِ الْأَقْصَى الْمُحَلِّ خُيُولُ
تَلَاقَتْ بَنُو كَعْبٍ وَأَفْنَاءُ مَالِكٍ بِأَمْرٍ كَصَدْرِ السَّيْفِ وَهْوَ جَلِيلُ
تَرَى كُلَّ مَشْبُوحِ الذِّرَاعَيْنِ ضَيْغَمٍ يَخُبُّ بِهِ عَارٍ شَوَاهُ عَسُولُ (٣)
أَغَرَّ مِنَ الْفِتْيَانِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى كَمَا اهْتَزَّ عَضْبٌ بِالْيَمِينِ صَقِيلُ
كَأَنَّ الْمَذَاكِي حِينَ جَدَّ جَمِيعُنَا رَعِيلٌ وَعُولٌ خَلْفَهُنَّ وُعُولُ (٤)
عَلَيْهِنَّ أَوْلَادُ الْمَقَاعِسِ قُرَّحًا عَنَاجِيجُ فِي حَوِّ لَهُنَّ صَهِيلُ
كَأَنَّ عَلَى فُرْسَانِهَا نَضْحَ عَنْدَمٍ نَجِيعٌ وَمِسْكٌ بِالنُّحُورِ يَسِيلُ (٥)
إِذَا خَرَجَتْ مِنْ غَمْرَةِ الْمَوْتِ رَدَّهَا إِلَى الْمَوْتِ صَعْبُ الْحَافَتَيْنِ ظَلِيلُ
فَمَا تَرَكُوا فِي عَابِرٍ مِنْ مُنَوِّهٍ وَلَا نِسْوَةٍ إِلَّا لَهُنَّ عَوِيلُ (٦)
تَرَكْنَ بُجَيْرًا وَالذِّهَابُ عَلَيْهِمَا مِنَ الطَّيْرِ غَايَاتٌ لَهُنَّ حُجُولُ

---

(١) الفِنان ما تدلّل من اغصان الشجر. ويقال للجُمَّة اذا طالت وذهبت يمينًا وشمالًا جُمَّة فِنانة. قال النَّهْبيّ:

ولقد تَعَهَّدني فِنانةُ جثلةٌ مثلُ العناقيد التِبَبْ

(٢) قال الهيجانة فيّعة على الفعلاء مثل الماشطة. قال أبو عمرو: وهو اسم امرأة

(٣) مَشْبُوحُ ممرَّض كالاسد. شواهُ قوائمُهُ

(٤) المَذاكي القُرَّح المِسانّ. ورَعيل جماعات

(٥) النَّجيع الدم الطريّ. والعَنْدم دم الأخوين

(٦) المُنَوِّه الذي يدعو ويرفع صوته. يُقال نوَّه فلان باسم فلان اذا رفع له ذِكْره مادحًا

وقال (طويل)

أَمَا ٱلْحَلَى وَٱلْمَسْحُ إِنْ كَانَ مِنَّةً عَلَيَّ فَإِنِّي غَيْرُ خَالٍ وَمَاسِحُ (١
وَأَمَّا مَعَاذِيرُ ٱلصَّدِيقِ فَإِنَّنِي سَأَبْلُغُهَا إِنْ كُنْتَ لَسْتَ بِفَاصِحُ (٢
وَذِي مِرَّةٍ مِنْ ٱلصَّدِيقِ ٱجْتَنَبْتُهُ وَآخَرَ قَدْ جَانَبْتُهُ وَهْوَ كَاشِحُ
تَحَمَّلْتُهُ عَمْدًا لِأَفْضُلَ بَعْدَمَا بَدَتْ أَبَنٌ فِي سَاقِهِ وَقَوَادِحُ (٣
وَمُهْتَزِعٍ حَالًا وَلَوْمَ خَلِيقَةٍ صَقَعْتُ بِشَزْرٍ وَٱلْأَكُفُّ لَوَاقِحُ (٤

وقال سلامة (طويل)

تَقُولُ ٱبْنَتِي إِنَّ ٱنْطِلَاقَكَ وَاجِدًا إِلَى ٱلرَّوْعِ يَوْمًا تَارِكِي لَا أَبَا لِيَا
دَعِينَا مِنَ ٱلْإِشْفَاقِ أَوْ قَدِّمِي لَنَا مِنَ ٱلْحَدَثَانِ وَٱلْمَنِيَّةِ وَاقِيَا
تَخَلَّفُ نَفْسِي أَوْ سَأَجْمَعُ هَجْمَةً تَرَى سَاقِيَيْهَا يَأْلَمَانِ ٱلتَّرَاقِيَا

وقال سلامة بن جندل (طويل)

وهذه الابيات بعث بها الى ضمضمة بن محمود بن عمرو بن مرثد وكان اخو سلامة احمر بن جندل اسيرًا في يديه فاطلقه له:

سَأَجْزِيكَ بِٱلْقِدِّ ٱلَّذِي قَدْ فَكَكْتَهُ سَأَجْزِيكَ مَا أَبْلَيْتَنَا ٱلْعَامَ ضَمْضَمَا
فَإِنْ يَكُ مَحْمُودٌ أَبَاكَ فَإِنَّنَا وَجَدْنَاكَ مَنْسُوبًا إِلَى ٱلْخَيْرِ أَرْوَعَا

---

١) يقول انا لا أختلُ ولا أمسح الدابة وأدني لها الحشيش لتدرّ. وهذا مثل. يقول اني لا أخدع ولا أخدَع ولكني أجاهر اذا اردت امرًا

٢) يقول اذا كنتَ انت لا تفصح بما فاني أفصح بما

٣) الأبَن العُقَد الواحدة أبْنَة. يقول تحمّلته وقد رأيتُ في ساقهِ النَبْب

٤) لَوَاقِحُ رفعتُ الأكفُّ ايديها الى القتال. مُهتزع مُسرع. والصَقْع الضرب على الشيء اليابس وغير اليابس

سَأُهْدِي وَإِنْ كُنَّا بِتَنْلِيثَ مِدْحَةً إِلَيْكَ وَإِنْ حَلَّتْ بُيُوتُكَ لَعْلَعَا
فَإِنْ شِئْتَ أَهْدَيْنَا ثَنَاءً وَمِدْحَةً وَإِنْ شِئْتَ أَهْدَيْنَا لَكُمْ آيَةً مَعَا[1]

وقال سلامة بن جندل (طويل)

مَنْ مُبْلِغٌ عَنَّا كُلَاباً وَكَعْبَهَا وَحَيَّ نُمَيْرٍ بِالْيَقِينِ رَسُولُ
فَإِنِّي بِيَوْمٍ مِثْلِ يَوْمٍ بِمَازِقٍ لَكُمْ وَلِقَاءٌ إِنْ حَبِيتُ كَفِيلُ
غَدَاةَ تَرَكْنَا مِنْ رَبِيعَةَ عَامِرٍ دِمَاءً بِأَعْلَى الْوَادِيَيْنِ تَسِيلُ

حدَّثنا ابو عبدالله محمَّد بن العبَّاس اليزيدي . قال: سمعت ابا العبَّاس احمد بن يحيى يقول أتيت عُمارة ومعي شعر سلامة بن جندل فقال لي: ما معك فاخبرتهُ . فقال: لعلَّك تظنُّ اني لا أحسن الأشعر جرير هات اقرأه . فقرأتهُ . وكان يقرأه معي وسألتهُ عن اشياء فيه فرأيتهُ يجيب ويُحسن (تمَّ)

كتبهُ عليّ بن هلال في شهر رمضان من سنة ثمانٍ واربع مائة (١٠١٨م) حامدًا لله على نعمهِ ومصليًا على نبيّه محمد وآلهِ وعترتهِ وسلَّم وحسبنا الله ونعم الوكيل

(اما ختام النسخة الاسكندريَّة فهو ما حرفهُ):

« كتبهُ عليّ بن محمَّد حامدًا لله على نعمهِ ومصليًا على نبيّه محمَّد وآلهِ وعترتهِ وسلَّم وحسبنا الله ونعم الوكيل سنة ٤٩٣ (١١٠٠م) »

(وفي اثرهِ ما نصُّهُ ولعلَّهُ بيد كاتب آخر):

« هذا الكتاب بخطّ الشيخ وليّ الدين عليّ العجميّ »

انتهى ديوان سلامة بن جندل وقد عزمنا انشاء الله على طبعهِ منفردًا فلحقتهُ بالملحوظات والروايات والشروح التي وردت في كتب الادباء المخطوطة والمطبوعة كما فعلنا بديوان السموءل بعد نشرهِ بالمشرق

ل.ش

---

(١) هدينا صرفناها اليكم فقال صمصمة: المدحة والثناء أحبُّ الينا

والبرامكة الرشيد

رواية تاريخية نثرية ذات خمسة فصول يتخللها شعر قديم

بقلم الاب انطون رباط اليسوعي (تابع)

الفصل الثاني

المبايعة بالبردة والقضيب والخاتم

مجلس مزيّن في قصر الرشيد . سدّة للرشيد والمأمون . رايات . مائدة جميلة للتحف

المشهد الاوّل

الفضل . ياسر

الفضل فهم إذن عازمون على اطلاق سبيل العلويّ ؟

ياسر نعم سيدي غدًا صباحًا وهذه رسالةُ جعفر يوصي الفضلَ اخاهُ بالعلويّ . اختلسْتُها بحيلةٍ من حجرته

الفضل هات . . أينتهي بهم الإصرار على شأنهم الى كبائر المخالفة ؟ انهم والله يبحثون عن حتفهم بظلفهم . فقد القَوا بانفسهم في لجةٍ لا مناصَ لهم منها . او هل سمعتَ غير ذلك ؟

ياسر ما تسنّى لي الوقوف فلم اتمكّن إلّا من اختلاس بعض اقوالهم

الفضل ولِمَ حضر المجلس السرّي عبدالله ؟

ياسر لا ادري ولكني رايتُ العلويّ يقبّلهُ ويسكب العبرات

الفضل إنّ في الامر لسرًّا يجب عليك معرفة حقيقته

ياسر نعم

الفضل احسنت يا عبدًا صادقًا قد اتممتَ ما لاجلهِ اهداك الرشيد الى جعفر . هذا جزاء غيرتك : خاتمٌ قيمتهُ الف دينار . فأحصِ عليهم أنفاسهم ساعةً ساعةً وارفع

الي اخبارهم واعتقد انّ الرشيد راضٍ عنك فيجري عليك دِرَّ فضلهِ. واذهب الآن سرًّا اذ قد آنَ وقتُ المبايعة فانتظرني عند منتصف الليل (١

ياسر حبًّا وكرامةً

المشهد الثاني

الفضل وحده

الفضل قد جرت الرياحُ على ما اشتهيه وهـا اني افوز عن قريب ببغيتي فأُسقط البرامكة وأُزيل كل ما شادوا من المجد والفخار فاكون انا الوزير لا هم. قوم اعجام لا اعراب اندسُّوا كالحيَّة في صدر الخلافة العربيَّة فزاحموا فيها اهل الدولة بالمناكب وتمكَّنوا من الخطط والمراتب (٢. احاطوا بالرشيد إحاطة السوار بالمعصم وتسلَّطوا على جميع اعمالـه وسدُّوا في وجهي ابواب التقدُّم وحالوا دون رغائبي واتمام مقاصدي. وما هي مقاصدي؟ اتقد ساء ظنُّك يا هرون. حسبتني مُخلص النيَّة سالم الطويَّة أُؤدّي لك الخدم عن طيب نفس بلا جدوى ولا اطلب إلّا رضاك وتوطيد اس دولتـك. ساء ما توهَّمتَ. كيف انسى معاملة ابناء جلدتك لابي الكريم اذ كان جزاءهُ من الهادي اخيك بعد الخدمة الصادقة قدحٌ فيه عـلى مسموم فمـات ابي ليومهِ؟ (٣ كيف انسى ذاك الشيخ المظلوم الذي لا يزالُ منذ خمسَ عشرةَ سنةً في بئرٍ بُنيتْ عليهِ قبَّة يُدلَّى اليه في كل يوم رغيفُ خبز وكوز ماء (٤. كيف انسى ما صنعهُ ذووك وصنعتَه مع بني أُميَّة الاشراف وقد استأصلتَ شأفتهم ونبشت قبورهم؟. كيف انسى اولئك التسعين اميرًا الذين حطَّم السفَّاح اعضاءهم بالعمَد وبسط عليهم الأنطاع فأكل وشرب وهو يسمع أنينهم ويقول: لم تطربني قطّ نغمة اوتار كما تُطربني هذه الحشرجة وهذا

---

١) الاتليدي (١٦٨) ٢) مقدمة ابن خلدون (اطلب التوطئة صفحة ١٠) وغيره

٣) ابن الطقطقى (في الفخري ٢٤٢). المسعودي (مروج الذهب ٦: ٢٦٦) الاغاني (٤: ٩٣) والطبري الخ

٤) هو يعقوب بن داود. اطلب الاربلي (٩٧) والفخري (٢٥٠-٢٥٥)

الاثنين. وقد صلبهم في بستانه لينظر الى جثثهم البالية. ولمّا تأدّى جلساؤه من روائحهم اجاب: لهذا عندي الدُّ من شمّ المسك والعنبر (١. ولم ينجُ من بني اميّة إلّا الرضيع او من هرب الى الاندلس. فلم تكتفِ بهذا بل أتبعتهم باغراء البرامكة اصحابك وحرّمت عليهم الاستقلال بالسلطة وإدارة شؤونهم ولو بعيدًا عن الاوطان (٢ اما الآن فأردُّ كيدك الى نحرك. قد أوغرتُ صدرك على البرامكة وهم عماد ملكك فان فزتَ بالمراد واهلكتهم تملّكت على الوزارة ومكّنت بني اميّة من الأندلس فأدرتك كيفما شئتَ ولا عبأت بك واني لا أدع دمًا زكيًا يُراق باغراء ذوي ك هدرًا ولا أنثني عن الاخذ بثأري مهما تحقيق اماني ولو سفكتُ من الدماء انهارًا وقتلتُ من الابرياء رجالًا ونساء وشيوخًا واطفالًا. وسأقرعنَّ كل باب واستعملنَّ كل حيلة ودسيسة واعرضنَّ بنفسي الى الهلاك عساني أروي غليلي وأنال مُناي

اني اسمع همسًا. قد بحتُ بسرّي. هل اطّلع عليه احد؟ أرى اولادَ جعفر قادمين. فلنَعُدْ الى السكينة ونُعِدّ المجلس

المشهد الثالث

الفضل. الحسن (يحمل البردة). الحسين (يحمل الخاتم والقضيب). جعفر (يحمل على وسادة مفاتيح بيت القيامة ورسالة الرشيد). جبريل (يحمل التحف مع خدَم)

الحسن نِعِمْ صباحًا يا ابن الربيع

الفضل (على حدة) هل سمعوا مقالي؟ (للقادمين). انتم هنا. هل وصلتم منذ زمان طويل؟

الحسين وصلنا الساعة متقدّم الموكب آتيًا من المسجد حيث ألقى المأمونُ خطبتَهُ فأبكى كلَّ من حضر

الحسن هذه البردة الكريمة

١) المسعودي (مروج الذهب ٥: ٤٧١) والفخري (٢٠٣) وابن الاثير في تاريخ سنة (١٣٢ و ١٤٨ الخ) ٢) الفخري (٢٠٤) والمسعودي وابن الاثير الخ

الحسين خاتمُ الملك وقضيب الرئاسة

جعفر وانا حامل مفاتيح بيعة القيامة ورسالة الرشيد الى سلطان النصارى

الحسن وابن بختيشوع آتٍ يحمل التحف

جبريل قد وصل الخليفة مع الامراء (يضع التحف على المائدة)

الفضل (ينظر الى التحف) ما أجملها . احسن ابوكم في الاشارة بالرحلة الى زعيم الفرنجة وسيكون هذا سبباً لتوطيد اركان البَيْعَة . أسعد بكم من ولدٍ كرام لأبٍ كريم

الحسن صدقتَ

الفضل هل سمعوا ما قلتهُ ؟

الحسن الموكب

المشهد الرابع

السابقون . يدخل الرشيد والمأمون ويحيي البرمكي وجعفر والفضل والشعراء

الرشيد احسنتَ يا عبدالله يا قرَّة العين احسنت . خطبتَ فأطنبتَ . ورغَّبتَ ورهَّبت . وحذَّرتَ وأنذرتَ بنظمٍ حسنٍ ولفظٍ مليح ونطقٍ فصيح لا حشوَ فيهِ ولا تعقيد

الحسن أكرِمْ بيدي عبدالله المأمون . طولهُ خمسةُ اشبار . ووجههُ كالدينار . وهو كشطرِ نار . ثيابهُ صغار . وأكمامهُ قصار . لكنَّهُ قد فاق خطباء الأمصار . وقال ذوو الأبصار : أسعدْ بالخليفة الصغير . والامام الخطير . والخطيب الجهير

المامون وبك أكرمْ يا اخي

اسحق لتَهْنِ اميرَ المؤمنينَ كرامةٌ عليهِ بها شكرُ الاله وجوبُ
بأنَّ وَلِيَّ العهد مأمونَ هاشمٍ بدا فضلهُ إذ قام وهو خطيبُ
ولمَّا رماهُ الناس من كل جانبٍ بأبصارهم والعودُ منهُ صليبُ
ورماهم بقولٍ أنصتوا عجباً لهُ وفي دونهِ للسامعينَ عجيبُ
فأبكى عيون الناس ابلغ واعظٍ تميلُ اليهِ اعينٌ وقلوبُ (١

١) الاغاني (١٨ : ٨٣) الشعر لابي محمد اليزيدي

الرشيد اجدتَ وصدقتَ . إنَّ نظمك لحدَّتهِ ومضائهِ كقول المأمون يأخذُ بمجامع القلوب والالباب . وانتم ايها الامراء الكرام لقد بايعتم لابني عبدالله المأمون بَيْعَةً ثابتةً عن صدق سريرة واخلاص طويَّة وآليتم على انفسكم انكم ستقيمون على العقود ولا تخالفون العهود إظهاراً لتمام خضوعكم وكامل طاعتكم وشكراً لما اغمرتاكم به من بحور كرمنا ومجامع فضلنا فحقَّ لكم الثناء

يحيى إنَّا يا امير المؤمنين عبيدُ دولتهِ وسيوفُ دعوتهِ وأنصارُ حقهِ وأعوانُ عدلهِ

جعفر لقد سُرَّ الناس ببَيْعَةِ المأمون سرورَ الشب اليابس بالغيث والمريض المدنف بالبرء اطال الله أيامَ امير المؤمنين وزاده نصراً واعتزازاً . وجعل عزَّهُ وسلطانه على ثوب الزمان طرازاً . ومدَّ اظلال دولتهِ على المغارب والمشارق ووطَّأ لأقدامهِ كل ضدٍّ ومباين وعدوٍّ مارق

الحسن مدَّ لك اللهُ الحياةَ مدًّا حتى ترى ابنك هذا جدًّا
موزَّراً بمجده مردًّى كأنَّهُ انت اذا تردَّى
شمائلاً محمودةً وقدًّا (١)

الرشيد ولك مدَّ الله الحياة يا بنيَّ . وبلغ بك اكملَ العمر

المأمون لله درُّ اخي الحسن ما أكرمَ نفسهُ واكيسَ لبَّهُ وأوسعَ في البلاغة ذرعَهُ

الرشيد لكني اسمعُ من عبدالله كلاماً لا اعلمُ أمن تلقين القيِّمين عليهِ او من قريحتهِ . فقبلَ ان أقلدهُ علامات الخلافة قمْ اليه يا اصمعي وناظره بمرأى من الجميع وبمحضر (٢)

الاصمعي ايُّ العلوم احبُّ اليك ؟

المأمون أمتعُها اليَّ

الاصمعي وما امتعُها اليك ؟

المأمون أبينُها عن قائلها وأقربها من فهم سامعها

الاصمعي وما المراد من البيان في قولك ؟

---

١) الاغاني (٥ : ٧٨ و١٢ : ١٣٥) الشعر لاسحق الموصلي

٢) المسعودي (مروج الذهب ٦ : ٣١٨) والاربلي (١٣٦) والمجاني (٣ : ١٢٢)

المامون ان يكونَ الكلام يُحيط بمعناك ويكشف عن مغزاك ويخرجهُ من الشركة ولا يُستمانُ عليهِ بالفكرة . ويكون سليماً من التكلُّف بريئاً من التعقيد غنياً عن التأويل (١

الاصمعي جنتُ ممتحناً فتعلمتُ

جبريل إن شيئاً يكون هذا اولهُ لحقيقٌ ان يُرجى آخرُهُ

جعفر أبَتِ الياقوتةُ ولو كانت في الجرم صغيرة الّا ان تكون مضيئةً كالشهاب الثاقب

الحسين وعبد الله كذلك

يحيى فرعٌ ذكا اصلهُ وطاب مغرسهُ وتمكّنت فروعهُ وعذبت مشاربُهُ ادّاهُ ملكٌ اغرُّ واسع العلم عظيم الحلم . اعلاهُ فعلا وسما بهِ فسما فهو ينطق بنطق ابيهِ ويتطاول بطولهِ ويستضيءُ بنورهِ . فأمتع الله بهِ امير المؤمنين في الدارين

جعفر ما رأيتُ يا اميرَ المؤمنين احداً من ابناء الخلافة واغصان هذه الدوحة الزلالية آدبَ منهُ لساناً واقوى جناناً وابلغَ بياناً واجلَّ شأناً نسأل الله تعالى يا امير المؤمنين أن يزيد بهِ الحقَّ تأييداً ويُنزل بأسهِ على اهل الضلال قمعاً وذلّا

الرشيد (وذراعهُ على عنق المأمون) اني لأتعرّف في عبدالله المامون حزمَ المنصور ونُسك المهدي وعزّة نفس الهادي وإن شاء أن انسبهُ الى الرابعة في لنسبتُهُ . واني لأرضى سيرتهُ . وأحمدُ طريقتهُ واستحسن سياستهُ واني لأقدّم محمد الامين عليهِ وأعلم أنهُ منقادٌ لهواه متصرّف في طريقهِ مُبذّرٌ لما حوت يداهُ . ولولا أمُّ جعفر زبيدة لقدّمتُ عبدالله عليهِ

لقد بان وجهُ الرأي لي غير أنني ... غُلبتُ على الرأي الذي كان أحزما
وكيف يُردُّ الدرُّ في الضرع بعدما ... توزّع حتى صار نهباً مقسّما
اخافُ الدواء الامر بعد استوائهِ ... وأنْ ينقضَ الحبلُ الذي كان مُبرَما (٢

١) من كلام جعفر البرمكي وعنهُ اخذ المأمون . ابن الاثير (في تاريخ سنة ١٨٧) ومقالات علم الادب (١ : ١٠٥) نقلاً من كتاب البيان والتبيان للجاحظ

٢) المسعودي (مروج الذهب ٦ : ٢٢٣) والاربلي (٨٧)

البس يا بُنيَّ البردة الكريمة وسرْ في الرعيَّة بالعدل والانصاف فإنهم قوم الله أودعهم تحت كنفك فأرطِ لهم جناح الرحمة

المأمون إنَّ السيرَ على آثار أبي الحالدة لِمَّا يؤكِّدُ لي حسن القيام بما سنَّهُ الله من الشرائع والأحكام. ادام الله ايام سيِّدي هادياً لي ولأهل الدولة الى ما فيه الخيرُ والفخر والسعادة

الرشيد خذ قضيب الخلافة وكُن مؤيَّداً بالظفر — هات اصبعك لأقلّدك خاتمَ الخلافة (١

يحيى أتذكر يا امير المؤمنين الخاتمَ الثمين الذي اهداهُ اليك المهدي فلعقتَك سليمان الأسودُ وانت في السفينة وأراد ان يأخذهُ منك بأمر الهادي فألقيته هنا في الدجلة ؟

الرشيد ولِمَ تنغِّص علينا مجلسنا بأمرٍ قد تطيَّرتُ منهُ ومنذ سنين آمرُ الغوَّاصينَ ان يطلبوهُ فلم احظَ به ؟

يحيى لمَّا أردتُ اليومَ الركوبَ الى مجلسك أتاني خادمٌ من منزلي وقال: لقيتُ هذا الخاتم في بطن حوتٍ من حيتانِ الشقيتها للمطبخ فتأملتهُ فاذا هو هو (٢

الرشيد والله هو هو (يقرأ المكتوب عليه) « العظمةُ والقُدرةُ لله » طالما اشتهيتُ الحصولَ عليهِ ولو بذلتُ خراج الدولة لذلك. قد كنتُ رأيتُ في منامي أنَّ من حصل عليهِ من الخلفاء كانت أيامهُ احسن أيام ودهرهُ احسن دهر. باركَ الله لك به يا بنيَّ

[الحسين بيعةُ المأمون آخذةٌ بعنان الحقِّ في أُفقِهْ
احكمت مرآتُهُ عُقَدًا تمنعُ الختالَ في نَفَقِهْ
لن يفكَّ المرء ربقتها او يفكَّ الدينَ من عُنُقِهْ

---

١) اطلب ذكر شعار الخلافة في المسعودي (مروج الذهب ٦ : ٤٨٣ و ٨ : ٣٥١) والمشرق (٣ : ٢١٠). قال الوليد بن يزيد (المسعودي ٦ : ٥):

طال ليلي وبتُّ أشقى السُّلافهْ وأتاني مُبشري بالرصافهْ
وأتاني ببردةٍ وقضيبٍ وأتاني بخاتمِ الخلافهْ

٢) الاتليدي (١٧٧) وابن البري (٢٢٢) والاربلي (٧٨)

ولهُ من وجه والدهِ صورةٌ تنشت ومن خُلُقِهْ (١

الرشيد لا فُضَّ فوك

يحيى مَن يحفظُ قصيدةَ عليّ بن خليل السينيَّة في امير المؤمنين ؟

جعفر انا: خيرُ البرية انتَ كلهمِ في يومك الغادي وفي امسِ
وكذاك لن تنفكَّ خيرَهمُ تُمسي وتُصبحُ فوق ما تمسي
لله ما هارونُ من مالكٍ برّ السريرة طاهرِ النفسِ
ملكٌ عليه لربّه نعمٌ تُرادُ جِدَّتُها على اللبسِ
تحكي خلافتُهُ ببهجتها أتقى السرور صبيحة العرسِ (٢

الرشيد احسنتَ يا بُنيَّ

المأمون مَن يقول في الوزير جعفر مؤدبي شعرًا ؟

اشجع انا اقول لوقتي على قافيتها شعرًا لم يسبقني اليه جاهلي

المأمون قل

اشجع ذهبتْ مكارمُ جعفر وفعالهُ في الناسِ مثلَ مذاهب الشمسِ
ملكٌ تسوس لهُ المعالي نفسهُ والعقلُ خيرُ سياسة النفسِ
فاذا تراآتهُ الملوكُ تراجعوا جهرَ الكلام بمنطقٍ همسِ
ما ضرَّ مَن قصدَ ابن يحيى راغبًا بالسعد حلَّ بهِ لئام النحسِ (٣

الحسن وانا اقول على قافيتها

ولمَّا بدا جعفرٌ في الخميسِ بين القصور وبين الكؤوس
بدا لابسًا بهجةً حلَّةً أزيلتْ بها طالعاتُ النحوس
ولمَّا بدا بين اولادهِ ولاةِ العهود وعزِّ النفوسِ
بدا قمرًا بين اقمارهِ وشمسًا مكلَّلةً بالشموسِ (٤

الرشيد احسنتَ

---

١) الشعر لاشجع . اطلب انيس الجليس (١ : ٢١٤)
٢) زهر الاداب للحصري على هامش العقد الفريد (٣ : ١٥٠) والمجاني (٥ : ١٤٧)
٣) الشعر لاشجع . الاغاني (١٧ : ٢٢)
٤) الشعر لابراهيم بن العباس . الاغاني (٩ : ٢٢)

جعفر مَن يصف موضعنا هذا فيُطرب امير المؤمنين ؟

المأمون انا اقول معترضاً كلَّ ما قيل من الشعر في هذا الموقف .

قصور العالية كالهذارى لبسنَ ثيابهنَّ ليوم عرس
مطلَّات على بطن كتمٍ اياديَ الماء وشياً نسج غرس
اذا ما الطلُّ اثَّر في ثراهُ تنفس نوره من غير نفس
فتنبقهُ السماء بصبغ ورس وتصحبهُ باكؤس عين شمس (١

الرشيد لقد برزتَ على اخوتك فضلاً وادباً وظرفاً

يحيى إننا لنجد في شعر المأمون رقَّةَ الملوكية وغزل الظرفاء وهابة المحدثين وبلاغة الجاهليين يجري في اسلوب الجيدين . ولا يقصر عن مدى السابقين

المأمون لستُ إلا قطعةً في بحر سيدي امير المؤمنين ومؤدّبي جعفر . عنهما اخذتُ ما بي واليهما أعزى لا لي]

ابو نؤاس انت يا أمير المؤمنين كما قال الشاعر :

أضافَ الى بَيعةٍ بَيعةً فقام بها جعفر وحدهُ
بنو برمكٍ أنَّسوا ملكهُ وشدُّوا لورَّاثهِ عقدهُ (٢

المأمون صدقتَ (يقوم ويتقدَّم الى وسط المرسح امام ابيه) ابتِ حضرتُ مجلسك يوماً فكنتَ تقول : قد سمعتُ تغريد الاطيار بالأسحار في فروع الاشجار وسمعتُ خفوق الاوتار فما طربتُ من صوتٍ قط طربي من ثناء حسن بلسان حسن على رجلٍ قد أحسن . فحاشا ان يوسم من جرى بعروقهِ دمك الكريمُ سيدي بسمة الكتود — ضربةُ لازبٍ وفرضٌ واجبٌ ان أقومَ بحرمة الصنيعة ليحيى بن خالدٍ وذريهِ . قد ربيتُ يا جعفر في حجرك بامر امير المؤمنين أتعلَّم أسرار السياسة والأحكام من فيك وأغتذي بلبان العلوم بين يديك فترعرعتُ وانتَ لي بضم الأبِ تحنُّني ليلاً ونهاراً على ان اقتفي معالمَ سيدي وابي امير المؤمنين في إعزاز مكان المعارف والآداب وبسط لواء العدل والانصاف . فلكم يا آل برمك اشكر وعلى همَّتكم وصدق

١) الشعر لاشجع . الاغاني (١٧ : ٣٣) ٢) البلاذري (٦٧) والمسعودي (٦ : ٣٦٧)

خدمتكم أثني فقد وطّدتم لركان الخلافة العباسيّة وزيّنتم عصرَ سيدي وأبي امير المؤمنين حتى ستى الناسُ ايامهُ لنضارتها وخصبها ايام العروس (١

جعفر ليس ما ذكر سيدي من خصالنا في محاسن امير المؤمنين وذويهِ إلّا كالنقطة في البحر . والذرّة في القفر . فلم نأتِ إلّا بما وجب على العبد نحو سيّده

يحيى انَّ يحيى وذويهِ يا امير المؤمنين سليلا نعمتك وبنو دولتك وغصنٌ من اغصان دوحتك وعبيد من عبيد خلافتك يُدافعون بارواحهم عن حقّك ويُعرّضون بولدهم وانفسهم للموت حفظاً لعزّك وملكك نسأل اللهَ ان يزيد في عمر الخليفة وذرّيته من اعمارنا ويقيهم الأذى باسماعنا وأبصارنا

الرشيد أمّا الآن وقد تمّ امرُ المبايعة فأودُّ ان تكونَ فاتحةُ أعمالِ المامون تسليم رسالتنا الى عبد الله يوصلها الى قارّله سلطان الفرنجة فيقرأ عليه السلامَ ويدعوهُ الى عقد رباط المودّة والوفاق بين دولته ودولتنا . وقد بعثنا اليه بأسنى الهدايا وأثمن التحف والألطاف من ابدع ما اخترعهُ جلُّ صنّاعنا بذكائهم وحسن صنعتهم وملّكناهُ بيعة القيامة ليحجَّ اليها بأمن أصحاب عيسى عليه السلام من كل فجّ وصوب لا يُنازعون بشيء ولا يتعرّض لهم احدٌ بمعتقدهم وصلاتهم وطوافهم تبعاً لشرائعهم وسننهم . وقد جعلنا حيًّا من احياء المدينة القدسيّة لتجارهم بمعزل عن غيرهم توسيعاً لنطاق العمران وتسهيلاً لتقدّم الصنائع والمعارف في انحاء الارض جمعاء . فما رأيكم ؟ (٢

جعفر يا امير المؤمنين اقول قولاً يوافقني عليه كل من حضر . انت مُتّسع الرأي بليغُ الفطنة معصوم النيّة موفّق العزيمة فقد ارتأيت من محكم التدبير ولباب الصواب . رأياً أنطقَ اللهُ فيه بالحق لسانك وهدى الى الصواب قلبك فانَّ المعاهدة بينك وبين ملك الفرنجة ممّا يُؤيّد سلطتك ويوطّد دولتك ويكسر شوكة من عصى بالأندلس امرك ونازعك حقّك . فاذا مُدَّ حبلُ الوفاق كان اميرُ المؤمنين سيّد البلاد الشرقيّة والسلطان النصراني سيّد البلاد الغربية لا يتجرأ احد ان يشقّ عصا الطاعة حيثما كان فيُحدث فتقاً

---

١) الميلاوي (٦٧) شرح مجالي الادب (٢ : ٦١٨) نقلاً عن المسعودي وغيره

٢) اطلب التوطئة (ص ١٢)

او يُسير فتنةً

الرشيد قدّم يا بُني الرسالة والتحف

المأمون ها كِها يا عبد الله وقد شفعتُها بكتاب كليلة ودمنة نظمَهُ شعرًا لافادتي ابن اللاحقي الشاعر . (يفتح الكتاب فيقرأ في اوّل صفحة)

هـذا كتابُ ادبٍ ومِحَنَهْ وهو الذي يُدعى كليلَهْ دِمَنَهْ (١

جعفر فاذا نقلهُ تراجم الفرنج الى لغتهم كان وسيطة لتجويد القرائح

المأمون ونودّ أن يبعث الينا بشيء ممّا لديهم من كتب الفلسفة والعلوم فنستجيد لها مهرة التراجمة ونرغب الناس في قراءتها وتعليمها (٢

الرشيد اذهب واجتهد ان تسترقّ قلبَ الملك النصراني باطفك وذكائك وتستميل لبّه بحسن منطقك وعزّة سجاياك

عبدالله (يتقدّم) سمعتك تقول يا امير المؤمنين: ثلاثةٌ تدلُّ على ارباب الهديّة والكتاب والرسول (٣ . فالهدية لم يرَ الراؤون أبهى واكرم وابدع منها . وحسبُ الرسالة انّك ناسج بُردتها وخاطُّ عباراتها بيدك الكريمة . امّا الرسول فمن أصدق عبيدك ينطقُ بنطقك ولا يهوى إلّا إعلاء . لمكانك فيصرف عنايتهُ ويبذل وسعهُ وطاقتهُ في إنجاز اوامرك

الرشيد سرّ على بركة الله اصحبك الله من عونه وتوفيقه دليلًا يهدي الى الصواب قلبك ويُنطق بالخير لسانك (يقبّل عبدالله يد الرشيد)

عبدالله ادعُ لي بالتوفيق يا جعفر

جعفر (لجعفر) سيدي دَعني ارافقهُ الى بلاد الفرنجة

جعفر انّ الفرنجةَ ارضٌ بعيدة المسافة مُتفاوتةُ السبل لا يُوصل اليها إلّا بعد ركوب البحار وقطع القيافي والقفار

جعفر لا بأس

---

١) اطلب الاغاني (٢٠ : ٧٣) وشرح قصيدة ابن عبدون (٢٢٦) ومقالة في المشرق للاب لويس شيخو (٩ : ٩٧٨)

٢) ابن العبري (٢٢٦) والقبطي (٢٩٨)

٣) من كلام يحيى البرمكي (الاربلي ١١٧ وابن خلكان ٢ : ٢٢٢)

عبدالله دَعهُ يرافقني سيدي

يحيى ليس الامر بصواب

جعفر قد كان لي صديقًا يمسح دموعي وها اني سأبقى وحيدًا

الحسن طبْ قلبًا فانَّ عبدالله سيعود عمَّا قريب

المأمون وانا اقوم لك مقامه فأُحبُّك كأخ.

الحسين لا تبكِ وإلَّا بكيتُ معك

جعفر سرْ معهُ يا حسين وفرِّج عن قلبه الغمَّ

الحسين تعال (يخرج عبد الله والحسين وجعفر وبعض الخدم حاملين الهدايا)

جعفر [وانا اختم المجلس بشعر قلتهُ في امير المؤمنين:

وسُرَّتْ بهارونَ الثغورُ وأحكمت ... به من امور المؤمنين المرائرْ

الى وجههِ تسهو العيون وما سهت ... الى مثل هرونَ العيونُ النواظرْ

ترى حولهُ الاملاك من آل هاشمٍ ... كما حفَّتِ البدرَ النجومُ الزواهرْ

يقيكمُ الملكُ الذي اصبحتْ به ... اسرَّتهُ مختالةً والمنابرُ (١

الرشيد احسنتَ واجدتَ يا اخي جعفر]

مسرور (يدخل ويقول) رسائل من بلاد الروم ومن ثغور الدولة

الرشيد اذهبوا ايها الحضور شاعكم السلام وستاتيكم الهدايا والأموال الى منازلكم (يخرج الجميع إلَّا جعفر والفضل) الثا هنا فنقضَ الصكوكَ الواردة

المشهد الخامس

الرشيد - جعفر - الفضل

[جعفر ان راق باعين امير المؤمنين حدثتهُ بامر ظريف

الرشيد هاتِ

جعفر جلست امس للشراب مع ندماء آنسُ بهم ولبستُ الثياب المصبغة كعادتنا وامرت خادمي ياسر ألَّا يأذن إلَّا لعبد الملك بن صالح المسامع فلمَّا دارت

(١ الاربلي (٨٠) والشعر لمروان

ترقي العلوم في السنة ١٩٠٩

نظر للاب لويس برتراند اليسوعي

تُعَدّ السنة ١٩٠٩ من السنين الفذّة بحاصيل العلوم ففي بعض شهورها بلغ ذوو الجدّ والعزم الى القطب الشمالي وكاد فيرهم يبلغون القطب الجنوبيّ فعادوا وفي ايديهم المعلومات الجغرافيّة الاثيرة. وفيها ايضاً قطع لاوّل مرّة احدُ الطائرين مضيق المنش بين فرنسة وانكلترّة. فان اضفنا الى هذه النتائج ظهور ثلاث مذنّبات ازدان بها سماؤنا في هذه السنة مع ترقّي المراكب الهوائيّة وتعدين المناجم استحقّت السنة المنصرمة ان تُنظم في جملة السنين الممتازة في تاريخ كُرتنا سواء كانت من جانب العلوم البرّيّة او البحريّة او الفلكيّة

١

مواجهة القطب الجنوبي — اكتشاف القطب الشمالي

انّ السيّارة التي يسكنها بنو البشر لصغيرةٌ الّا ان اسرارها لم تُكشف تماماً حتى الآن ففي السنة المنصرمة تجارى الرحّالون وتنافسوا في استخراج بعض دفائنها فاماطوا النقاب عن مجاهل قطبيّها. ففي ٩ كانون الثاني من السنة ١٩٠٩ نشر الرحّالة شاكِلتون (Shackleton) الراية الإنكليزيّة على مسافة ١٧٨ كيلومترًا من القطب الجنوبي. وما مرّ على ذلك ثلاثة اشهر حتى بلغ الاميركي پيري (Peary) القطب الشمالي في ٦ نيسان من السنة ذاتها تاماً بعثة كوك الذي ادّعى انّهُ بلغ الغاية عينها فانّنا لا نعيرها بالًا اذ ترجّح الآن انّ مدّعاهُ باطل وحديث خرافة. وعلى كل حال فانّنا ننتظر اثبات الخبر في ذلك

﴿ القطب الجنوبي ﴾ انّ بعثة شاكلتون من الاعمال الجارّيّة التي يفتخر بها ذوو المآثر الخطيرة وقد تجشّم اخطار هذه الرحلة ليقشع شيئاً من الظلمات الكثيفة التي تحجب القطب الجنوبي. فركب البحر على سفينة من سفن صيد الفقم (phoquier) تدعى نمرود فخرج من زيلندة الجديدة في ١ حزيران ١٩٠٨ وقضى الشتاء في راس روادس (C. Royds) فلمّا صفا الجوّ قسم بعثتهُ الى ثلث فئات وجعل لكلّ فئة

غايتها . اما هو فاختار له ثلثة رفقة ادانس ومرشال ووِلد وجعل وجهتهُ القطب الجنوبي سائرًا اليه في ٢٠ تشرين الاوّل سنة ١٩٠٨

وكان شاكلتون احد المرافقين للقبطان سكوت (Scott) في بعثة سابقة الى الجنوب فاعترض في وجوههم دون بلوغ المرام حاجز كبير من الجليد علوهُ يتراوح بين ١٥ و٨٠ مترًا اما طولهُ فكان يبلغ ٩٠٠ كيلومتر وهو في ارتفاع وهبوط على حسب مدّ البحر وجزره . فرقي سكوت وشاكلتون ذروة هذا الجبل الجليدي وسارا عليه حتى بلغا الى الدرجة ٨٢° والدقيقة ١٦' . الّا انهما لم ما كانا لينتظرا هذا العائق في طريقهما ومن ثم نفد عنهما الزاد وغارت قوى الكلاب الساحبة لزالجهما

فتلافيًا لهذا الخلل اتخذ شاكلتون لرحلته الجديدة بدلًا من الكلاب خيلًا من خيل منشوريا الشديدة المراس المقاسية للبرد القارس فربط كلًّا منها بزلاجٍ طولهُ ٣ امتار و٣٠ سنتمترًا وأركب كلَّ واحد من رفقته مزلجًا ثم ساروا الى الامام حتى وجدوا في طريقهم بيلة الى الغرب جدارًا من الجليد يقيس ٣٠٠٠ الى ٤٠٠٠ متر فلم يزالوا يسيرون في وجهة الجنوب الى ان قام في وجههم جدار آخر من الجليد مرتفع فتوقّاوهُ وفتحوا لهم مجازًا في وسطهِ بعد شقّ النفس الّا ان خيلهم لم تقوَ على هذه الاتعاب وكان الجوع قد انهك قواها حتى انها اكلت أجلالها واغتذت بالرمل ظنًّا منها انهُ الملح فلزمهم الامر ان يذبحوها ويأكلوا لحومها ويدخروا ما بقي منها لوقت الحاجة . ثم صار الرفقة الاربعة يسحبون المزالج وكانوا اذا انتهوا الى مرحلة طرحوا فيها شيئًا من لحم الخيل لئلّا يموتوا جوعًا في عودتهم فاسعدهم الحظّ بوجودها كلها . وتقدّم هؤلاء الابطال بعزم اشدّ من الصخر وبلغوا في وسط الجليد الى علوّ ٣٠٠٠ متر فوجدوا في ذروته نجدًا متسعًا يمتدُّ امتداد البصر الى القطب بل يتجاوزهُ وفي وسط تلك الانجاد كانوا يرون قممًا ذات ثُلَم فدعوا تلك المفاوز بأنجاد ادورد السابع وكان امالهم وطيدًا بان يدركوا القطب الّا ان نوءًا عظيمًا اثار الثلوج في وجههم ثلاثة أيام وصدَّهم عن مواصلة العمل ثم اخذ الجوع يؤذيهم حتى اضطرَّهم الى الرجوع القهقرى بعد ان بلغوا الدرجة ٨٨° والدقيقة ٢٣' بحيث لم يبق لهم لادراك غايتهم سوى درجة واحدة و٣٧' دقيقة . فعادوا قانعين ادراجهم سالمين . وما لبث الخبر ان انتشر في انحاء اوربة في ٢٤ آذار . وبعد قليل جاء المسيو شاكلتون الى باريس فتحفَّت بهِ الجمعيَّة الجغرافية وتلقَّت من فيهِ

تفاصيل رحلته التي نُشرت آخرًا بالطبع . ومن عجيب ما رواهُ انَّ الشمس في الصيف الجنوبيّ الذي يحلُّ في شهري كانون الاوّل والثاني كانت اذا ضربت على وجوههم من جانب احرقتها بينما هم يقاسون بردًا قارسًا من الجانب الآخر لانَّ درجة الحرارة لم تتجاوز السبع عشرة درجة تحت الصفر من المقياس المئوي

وكانت نتيجة هذه البعثة تحقُّق العلماء بانَّ القطب الجنوبي برّ متَّسع الارجاء يشبه البلاد الطافية فوق المياه (انظر الصورة) . ومن النتائج غير المنتظرة ايضًا التي ثبتت لهم بانَّ القطب الجنوبي يرتفع فوق سطح المياه الى علو ٣٠٠٠ متر

﴿ القطب الشمالي ﴾ جاءت رحلة بيري الى القطب الشمالي مثبتةً لما رواهُ الرحّالة نانسن (Nansen) لمَّا قصد تلك الاصقاع على السفينة فرام (Fram) وتجوَّل في اطرافها من السنة ١٨٩٣ الى ١٨٩٦ فأتى وقتئذٍ بمعلومات غيَّرت ارهام الناس في امر القطب . وقد اثبت المشرق (٤ : ٥١٧ — ٦١٩) شيئًا من اخبار رحلة نانسين وبلوغهُ الى الدرجة ٨٦° والدقيقة ١٢' من القطب ومما بيَّنهُ هذا الرحّالة المتقدام انَّ كل الاراضي القطبيَّة الاسيويَّة والاوربيَّة كسبتزبرج وفرنتس جوزف وزنبل الجديدة وسيبريا الجديدة انَّما كانت قارةً تمتدُّ الى الدرجة ٨٠° من العرض الشمالي على شكل اهليلجيّ ولا ترتفع عن قعر البحر الَّا ارتفاعًا خفيفًا ثم تزيد المياه عمقًا الى ألف متر ولا يزال القعر في هبوط حتى يبلغ ٣٠٠٠ متر فتكوَّن هناك حوضٌ بعيد الغور تحيط به السواحل المرتفعة . فاخذ نانسن العجبُ من هذا الاكتشاف وتحقَّق الامر بسَبر اعماق المياه على طرائق سوَّلتها لهُ فكرتهُ المتوقدة وكان العلماء يظنُّون انَّ في تلك البحار الشماليَّة تكون المياه الباردة اسفل من المياه الحارَّة لزيادة ثقل تلك على هذه فوجد نانسن اوَّلًا ان البحر الشمالي متجمد بالجليد ثم تبيَّن انَّ المياه الباردة تطو فوق المياه الحارَّة وعلَّل ذلك بما تحتويه المياه الحارَّة من الملح فيزيد ثقلها على المياه الباردة . فهذه المياه تتجمد لانَّها معرَّضة للبرد الجويّ ولكونها اقلّ ملحًا من الحارَّة وذلك ما يعلّل تراكم الجليد في القطب . وعليه فقد بطل ايضًا زعم پترمان (Petermann) الذي ارتأى انَّ مياه المجرى الحارّ في شمالي غربي اوربَّة المعروف بخُوَلف ستريم (Gulf-stream) تمتدُّ على وجه الاوقيانوس الشمالي والصواب انَّها تحت المياه الجليديَّة في البحر القطبيّ الشمالي كما ترى في الجدول الآتي :

بيان

اختلاف طبقات المياه البحريَّة في الحوض القطبي الشمالي

اعماق البحار	طبقات المياه	درجات ميزان الحرارة	ملوحة المياه
من الصفر الى ٢٠ او ٣٠ مترًا	طبقات قطبية سطحية	من ٠,٩ — الى ١,٦ — (تحت الصفر)	قلَّة الملوحة من ٢١ الى ٣٣ في الالف
من ٢٠ الى ١٠٠ م	» » بالغة في البرد	من ١,٦ — الى ١,٨ — (تحت الصفر)	اكثر ملوحةً من ٣٠ الى ٣٤ في الالف
من ١٠٠ الى ٢٠٠ م	» » متوسطة البرد	زهاء الصفر	اكثر ملوحةً من ٣٤ الى ٣٥ في الالف
من ٢٠٠ الى ٤٠٠ م	طبقات اتلنتيكيَّة (غولف ستريم)	الاوفر حرارة ١,٢ + (فوق الصفر)	٣٥ في الالف
من ٤٠٠ الى ٨٠٠ م	طبقات » اقلّ حرارة	من ٠,٥ + الى ٠,٦ + (فوق الصفر)	»
من ٨٠٠ الى ٣٠٠٠ م	المياه السُّفلى	من الصفر الى ٠,٨ — (تحت الصفر)	من ٣٥,١ الى ٣٥,٢ في الالف
من ٣٠٠٠ فا فوق	مياه قطبيَّة تسخنها الارض	من ٠,٧٦ — الى ٠,٦٩ — (تحت الصفر)	

فكانت نتيجة رحلة نانسن انَّ البحر القطبي الشمالي بعيد الغور وانَّ تحت المياه الجامدة مياهاً مائعة متزجة. فهذه النتيجة ذاتها قد اكَّدها الرحَّالة پيري (وكوك ايضاً ان صدق كلامهُ). فانَّ پيري سبر البحر القطبي بسلك من الفولاذ طولهُ ٢٥٠٠ متر فلم يبلغ السلك قعرَ البحر فصدقت رواية نانسن القائل بعمق ٣٠٠٠ متر

فمن هذه الاختبارات قد استنتج العلماء مبدأً مفيداً لعلم تكوُّن هيئة الارض (Géomorphogénie) فقالوا انَّ ارضنا لمَّا بردت قشرتها تشكَّلت على شكل هرم عظيم ذي اربع زوايا واربعة وجوه. فالزوايا هي النتوءات الاربعة الكبرى التي طفت فوق المياه اعني القارات الثلاث المعروفة وهي اوربَّة مع افريقيَّة ثمَّ آسية مع استراليا ثم اميركا الشمالية والجنوبيَّة يضاف اليها الآن البرّ الجديد الجنوبيّ الذي اكتشفهُ شاكلتون. ومعظم هذه القارات موقعها في القسم الشمالي من كرتنا. امَّا الجنوبيَّة فليس

منها ما وراء خطّ الاستواء غير قارات مستطيلة محدَّدة الرؤوس (اميركا الجنوبيَّة وافريقيَّة الجنوبية واستراليا مع تسمانية) تميل الى الشرق كأنَّ هذه الرؤوس المحدَّدة دُفعت الى الجانب الشرقي بقوَّة دوران سيَّارتنا وبرودها المتواصل . وهذان السببان عينهما هما اللذان علَّلا تلك الشقوق العظيمة التي تُرى في وسطها اعني حوض البحر المتوسّط الاوربيّ وحوض البحر المتوسّط الجنوبي الاسيوي (بحر الهند وما يليه) وحوض البحور المتوسّطة الاميركيَّة (بحر لابرادور وبحر انتيل) اما القطب الجنوبي فانَّ برَّهُ ارتفع فوق المياه الى علوّ ٣٠٠٠ بل حتى ٤٠٠٠ متر بنسبة زيادة قعر البحر الشمالي البالغ في عمقهِ مثل هذا القياس

٢

ارتقاء الجبال — حفر المناجم — سَبْر البحار

انَّ الشهامة التي أظهرها الأبطال السابقون في خدمة العلم ولمعرفة وجه كرتنا الارضيَّة وكشف مجاهلها وتوسيع نطاقها قد ابدى بها غيرهم للترقّي في أطوارها والتعمّق في اغوارها والنزول في قاعها

فمن ذلك سياحة الدوق دي ابروزي الشهير برحلهِ السابقة الى القطب فانهُ قصد توثّل أعظم اطواد كرتنا اعني جبل حملايا فحاول الصعود الى قمتهِ العليا المعروفة بقمَّة إفرست (Everest) والموسومة بعلامة K^2 . وهذه القمَّة تُدعى ايضاً باسم غوريسَنكار . واليوم تأكَّدوا انَّ القمَّة افرست ليست منفردة بل تُقسم الى قسمين او قمَّتين فالواحدة منها هي اعلى نقطة في كرتنا . اما الثانية فتتشعَّب شعبتَين تُدعى الواحدة غوري والثانية سَنكار . فالامير الايطالي سعى جُهدَهُ في الرقي الى رأس القمَّة العليا خيرًا فلم يدرك مرامهُ الَّا انهُ ارتفع الى حيث لم يبلغ احد غيرهُ فوصل الى علوّ ٧,٥٠٠ متر (١)

وسار رحَّالةٌ آخر الى جبال تيبت فاجتازها وغلب بذلك ظنَّ الذين زعموا انَّ تلك الجبال لا يُستطاع قطعها سيرًا لا بل اكتشف المذكور سلسلةً اخرى لم تُعرف قبلهُ

(١) لم يرتفع احد سابقًا الى مثل هذا العلوّ بسيرهِ امَّا في المراكب الهوائيَّة فقد وصلوا الى اعلى من ذلك . فانَّ برغون (Bergson) في ٣١ تموزسنة ١٩٠١ بلغ بمظادهِ علوّ ١٠,٠٠٠ متر

دُعيت بسلسلة ما وراء حملايا (Transhimalaya) وقد وجد في اعلاها مشارف مثلجة يتراوح علوُّها بين ٤٥٠٠ الى ٥٠٠٠ متر

وبينا كان هؤلاء يتفرَّعون الجبال المعمَّمة بالثلوج الغرَّاء والجليد المخلَّد طمع غيرهم في التعمُّق في قلب الارض للاستغناء بكنوز معادنها فتراهم يزيدون كل يوم تبطُّناً واتحداراً حتى انَّ بعض مناجم الفحم الحجريّ تبلغ اليوم عمق ١٢٠٠ متر بل تجاوز غيرهم هذا الحدّ فوصلوا لتعدين النحاس الى ١٦٠٠ ثم الى ١٨٠٠ متر. وكان لاميركة السباق في ذلك

على انَّ هذه الحفريَّات تكلّف المبالغ العظيمة التي لا تقوم بها اغنى الجمعيَّات ما لم تتحقَّق انَّ اتعابها لا تذهب سدًى ولذلك تراهم يسبرون قلب الارض بثاقب شديدة الصلابة خرقوا بها أصمَّ طبقات الارض . وقد ثقب المهندسون المتولُّون لفحص تلك الطبقات اثقاباً تجاوزت الفي متر حتى بلغوا ٢١٥٤ مترًا وذلك في مقاطعة سيلازية الشرقيَّة من اعمال المانية

وجارى البحَّارون هؤلاء المهندسين فسبروا في سبر اقعار الاوقيانوس وكان الجغرافيُّون يزعمون سابقاً انَّ ابعد قعر البحار انَّما موقعهُ في البحر الاتلنتيكي غربي قارة افريقية . امَّا ارباب البحر المحدثون فقد أجروا الاختبارات في الاوقيانوس الهادي فوجدوا اربعة اغوار غاية في العمق بلغت احداها ٩,٤٢٧ مترًا . وموقع هذه القعور في الارخبيل الاوستراليّ بين جزائر كيليب (Célèbes) وجزائر الفيليبين وماريان وغينية الجديدة واعمقها قريبٌ من جزائر كرماديك

٣

المراء – الفلك – آلات مكبرة

كما سبروا اعماق الارض واغوار الاوقيانوس كذلك حاولوا رصد الجوّ الذي يُحدق بسيَّارتنا ليعلموا حدود هذا الجلد فكانوا من ذي قبل يرون انَّ جلدنا لا يكاد يزيد على عشرة كيلومترات وقد سبق لنا القول انَّ برغسون حلَّق في مركبته الجويَّة الى ما وراء هذا الحد (اطلب المشرق ٤ : ٩٥٧) ولو ارخى العنان لمنطاده لأصعده فوق ذلك. لولا انَّ تخلخل الهواء في تلك الطبقات يعرّض بالصاعدين الى اخطار عظيمة لاختلاف الضغط عليهم فتنشقّ الانسجة الحيويَّة ويقرف الدم من الانف والآذان ومسامّ الجسد فسدَّ لهذه الثلمة اخذوا المناطيد المقيَّدة (المشرق ١ : ٣١٧ و ٩ : ٨٩٦) لرصد

احوال الجوّ فهم يجعلون فيها ادوات ومقاييس للحرارة وثقل الهواء والرطوبة تدوّن من تلقاء ذاتها احوالَ الجوّ فاذا بلغت اقصى العُلى سحبوها ولحظوا ارصادها. وفي السنة المنصرمة ارسل مرصدُ الظواهر الجوّية في بلجيكة منطاداً من هذا الصنف بلغ ٢٩,٠٠٠ متر فعرف الفلكيُّون بذلك انّ وراء جلدنا جلداً آخر لطيفاً

ثم ان فوق جوّنا افلاكاً تسطع بنجومها وما تلك النجوم سوى عوالم تفوق كوننا بأجرامها وخواصها العجيبة فترى الفلكيين في شغل شاغل لرصد تلك الكواكب واختلاس بعض اسرارها فلا يزالون يخترعون الآلات المحسّنة التي تقرّب من ابصارهم تلك الكائنات العجيبة. أفلا ترى ما اكتشفهُ نابغة عصرنا الفلكيّ اليسوعيّ الشهير انجلو سكي (اطلب المشرق ٦:١٦١) من خواصّ الشمس وتركيبها وفلكها وطبقاتها وكلفها وحرارتها. الّا انّ في السماء الوفاً وربوات من الشموس التي لبعدها عنّا لا تُرى بالعين المجرّدة. والادوات المكتشفة في هذه السنين الاخيرة قد بلغت جدولها الى عدد وافر كما انّهم استعانوا بفنّ التصوير الشمسيّ لتدوين حركاتها وبيان كمالاتها. فانّ هذه المعلومات مهما كانت ثروة تقدّم العلوم وتسمق بفكر الانسان الى خالقه عزّ وجلّ ليعرف قدرتهُ ويخضع لسلطته. فمن الملحوظات الاخيرة الجديرة بالذكر ما تعرّفوهُ من حرارة احد نجوم برج الثور المعروف بحرف ٢ فانّهم قاسوا حرارتهُ بمقياس جديد فوجدوا انّ درجات حرارته تبلغ ٦٠,٠٠٠ وهي لعمري حرارة تحيّر العقل فاذا قوبلت بحرارة الشمس زادت عنها عشرة اضعاف اذ انّ حرارة الشمس كما قاسها العلماء نحو ٥,٦٠٠ درجة فتأمّل

وكما انّ النظّارات اعلنت للمرء بشيء من عجائب العالم العلويّ كذلك وقف الانسان بواسطة المجهر على عالم الذرّات والحيويات الدقيقة البالغة الصغر. ولم يزالوا يزيدون هذه الآلات تحسيناً حتى يمكن العين ان تُبصر به الميكرون الذي هو جزء من ألف جزء الملمتر يل تُبصر عُشر الميكرون وكأنّ هذا ليس بكافٍ فقد اخترعوا آلة دعوها ما وراء المجهر (Ultramicroscope) يمكن ان تنظر بها جزءاً من ١٥٠,٠٠٠ جزء الملمتر

ولا تظنّ ان لهذه الدقائق الصغرى فعلاً ضعيفاً فان درس طبائعها الحديث قد اوقفنا على افعالها العجيبة بحيث يصحّ القول انّ الله اعجب واعظم في هذه الذرّات غير المنظورة منهُ في الاجرام العظيمة البالغة الكبر. فانظر مثلاً ما استفدنا من معرفة

خواصّ الاجسام المشعّة كالراديوم والميليوم فانّ بعض الاكتشافات الحديثة عنها كادت تقلب ظهرًا لبطن معلوماتنا السابقة بخصوص المادّة وحفظ قواها (راجع مقالة الاب دي ڤراجيل في المشرق ٧ : ١٨٢) . فانّ ذرّات صغيرة من الراديوم لها مفاعيل تحاول الاذهان مع انّ هذا العُنصر لم يُفرَز حتى الآن من مركّباته وقد بيع منهُ غرامٌ واحد في دواوين الحكومة النمسويّة بثمن ٤٠٠,٠٠٠ فرنك . وقد وردت الانباء من مناجم يواكيستال انّهم عمّا قليل يستحضرون منهُ غرامًا ثانيًا . فيا لله من هذه العجائب التي اودعها الخالق في دقائق ماديّة . فما قولك عن عالم الارواح وما قولك عن مبدع كل هذه الكائنات فحيّذا ابو العتاهية حيثُ يقول :

فيا عجبًا كيف يعصي الاله ... م ام كيف يجحدهُ الجاحدُ
وفي كلّ تحريكة وتسكنة ... في الورى شاهدُ
وفي كل شيء لهُ آيةٌ ... تدلُّ على انّه الواحدُ

٤
المذنّبات

وتقودنا هذه العجائب الطبيعيّة الى ذكر ثلاثة كواكب استلفتت الانظار في هذه المدّة وكان ظهورها في اواخر السنة ١٩٠٩ . نزيد بها المذنّبات الثلثة التي لشار اليها الفلكيّون فنجان منها اضاءا في سمائنا

واوّل هذه المذنّبات مذنّب هلّاي الذي استرسلت الجرائد في ذكره (اطلب جريدة البشير ٩ تشرين الاوّل ١٩٠٩ و١٥ كانون الثاني ١٩١٠) وهو اشهر المذنّبات . كان اوّل مَن رصدهُ حديثًا الفلكيّ ماكس ڤولف (Max Wolf) مدير مرصد هيدلبرغ وقد حسابات غاية في الدقّة اجراها بدرس طويل فنال بعملهِ جائزة فاخرة وشهرة واسعة . وقد جاراهُ في حسن الرصد وتدقيق الحساب فلكيّان آخران الاستاذ پيتر كُوول (P. H. Cowell) وكروملين (A. Crommelin) فجوزيا بجائزة الجمعيّة الفلكيّة (Astron. Gesellschaft)

وليس لنا ان نفصّل كل ملحوظات الفلكيين بخصوص هذا المذنّب فانّ أرباب الرصد يدوّنون كل يوم حركاتهِ ويصفون تقلّباتهِ وقد كان ضياؤهُ في سلخ كانون الثاني نحو الف مرّة ازيد منهُ في ايلول وهذا النور يتزايد في كل يوم وسيبلغ معظمهُ في اواسط

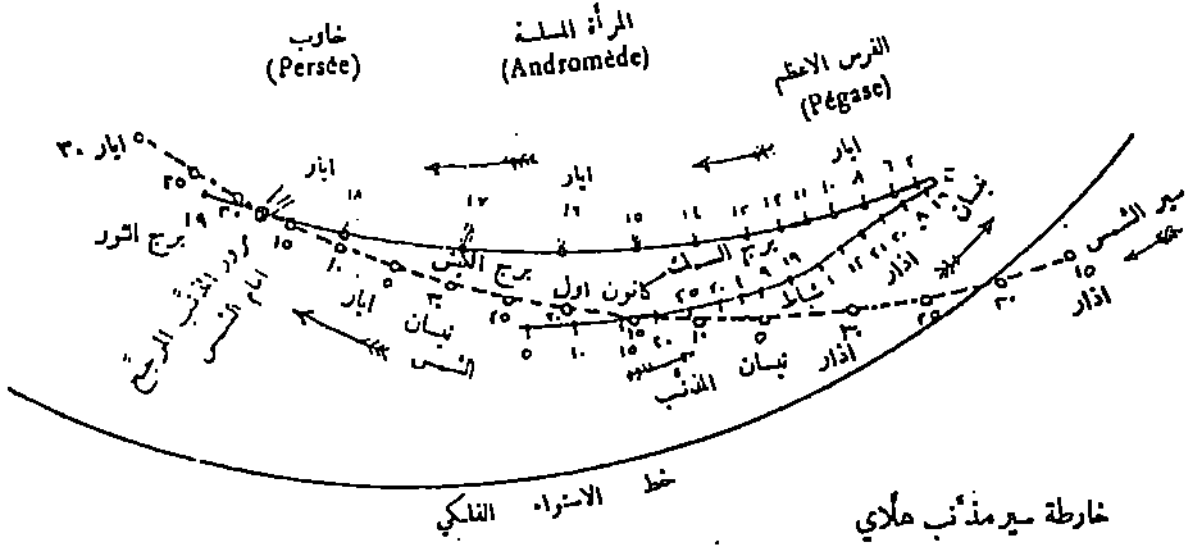

خارطة سير مذنب هلاي
من ٥ كانون ١ الى ١٩ ايار

١ خارطة طم تكوّن هيئة الارض

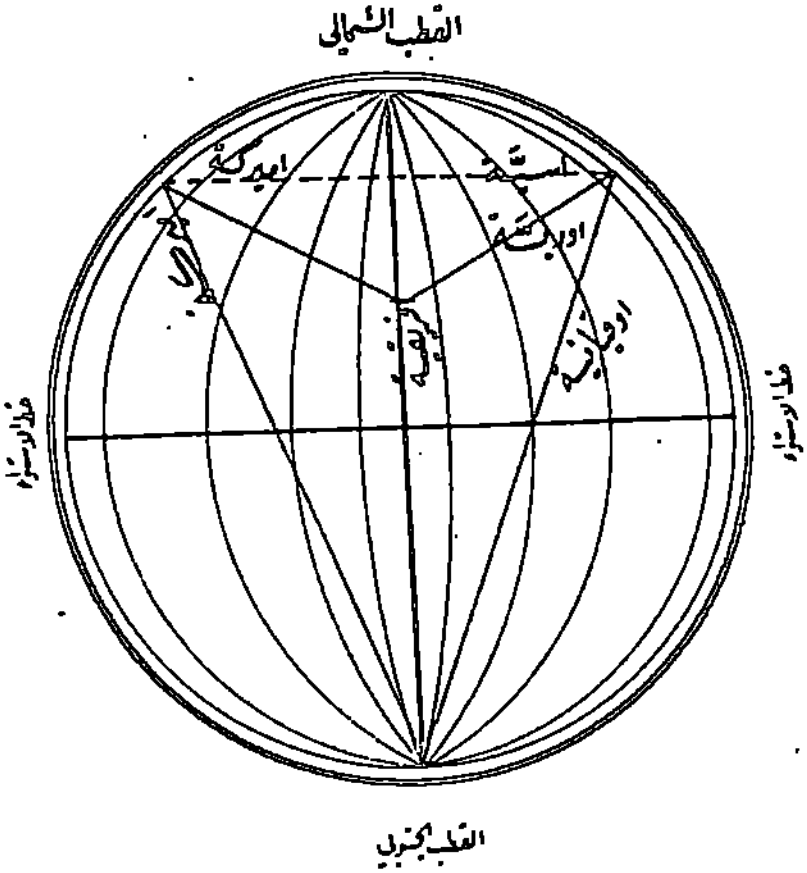

هيئة نواة الارض بالنسبة الى البحار

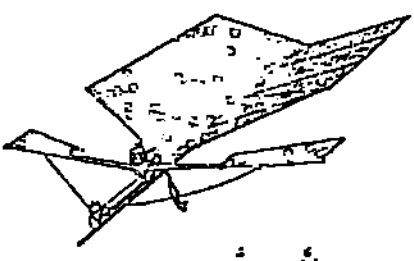

٢ طيّارة موحّدة الاجنحة

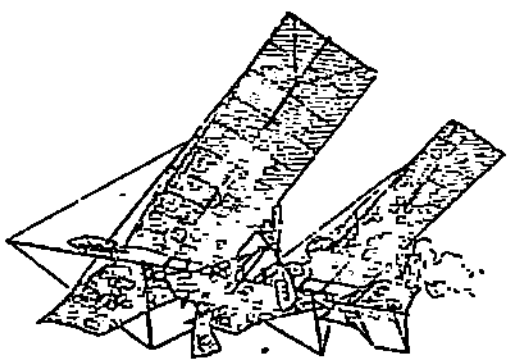

٣ طيّارة مضاعفة الاجنحة

ايار حيث يقرب من ارضنا فيمكن المصوّرين ان يأخذوا رسمهُ كيفما شاؤوا. وهـا نحن نثبت هنا خارطة سيره من كانون ١ الى أيار وبيان مواقعهِ المختلفة بالنسبة الى الشمس واجتيازهُ في بعض البروج. وفي ١٨ ايار موعد ظواهر جليلة ينتظرها المنجمون لرصدها ففي ذلك اليوم سوف تمرّ نواة المذنّب اي رأسهُ المضيء امام الشمس ويكون على مسافة ٢٦,٠٠٠,٠٠٠ كيلومتر فقط من ارضنا اما ذنبهُ الذي يبلغ على عادة المذنّبات مسافة عدّة ملايين من الكيلومترات حتى اربعين وخمسين وستين مليوناً فمن المحتمل انهُ يُحدق بارضنا فتغوص كُرتنا بنورهِ مدّة بضع ساعات ولا نراه في انّ هذا المظهر يكون من ابهى المظاهر كما جرى في ٢٦ حزيران سنة ١٨١٩ حيث لاح ذنب النجم بنور اسطع من نور الشمس. فاذا عسى ان يكون من امرهِ في هذه السنة مع ما لدينا من الآلات الفلكيّة البالغة الحسن المتقنة الإحكام؟ وأقرب ما يكون النجمُ منّا في ٢٠ آيار على مسافة ٢٣,٠٠٠,٠٠٠ كيلومتر بينما تبلغ المسافة الفاصلة بيننا وبين الشمس ١٤٩,٠٠٠,٠٠٠ كيلومتر. فمسافة المذنّب قريبة جدًّا بالنسبة الى المسافات المدهشة التي تفصلنا عن اقرب نجم من نجوم السماء.

وفي اوائل شهر آذار يغيب المذنّب الساعة الثالثة بعد مغيب الشمس ولعلّنا نستطيع ان نُبصرهُ في الجمعة الاولى من هذا الشهر. الّا انهُ يتوارى بعد ذلك عن العيان ثم تعود الى نظرهِ في اواخر نيسان وذلك قبل طلوع الشمس ومن أراد في ١٨ أيار ان يسرّح نظرهُ في مظاهرهِ الموعودة فعليهِ ان يقوم قبل السحر ليشاهدها. وان كان مرور المذنّب بازاء الشمس على سواء ولرضنا في وسط ذنبهِ يمكننا ان ننظر صورتهُ على واجهة الشمس بزجاجات مسوّدة. ومجمل القول انّ العلماء يبنون على هـذا الرصد الفلكيّ آمالًا حسنة لترقّي العلم. وقد اخذت الجمعيّات العلميّة منذ اليوم تتّفق لتقسيم العمل ولرصد النجم في احوالهِ المختلفة مدّة ظهورهِ المثير من آذار الى حزيران. واحسن موقع لرقب النجم على طريقة علميّة جزائر هواي فقد اعدّت الجمعية الفلكية الاميركيّة لجنةً للقيام بهذا العمل الخطير

ولمّا كانت الافكار كلها مشغولة بمذنّب هلّلي اذ ظهر في جوّنا نجمٌ آخر ذو ذنب وكأنّ العلماء سهوا عنهُ مع انّهم كانوا سبقوا منذ السنة ١٩٠٨ فاحسّوا بقرب ورودهِ. والمذنّب المذكور يُدعى بمذنّب جوهنسبورج الجديد رآهُ الفلكيّون في اواخر السنة

المتصرمة وقد مرَّ امامنا فرأيناه في العشر الاخير من شهر كانون الثاني من جهة الغرب ليس بعيدًا عن سيَّارة الزهرة بين الساعة السادسة مساء الى قرب السابعة وكان ذنبهُ غاية في الحسن في عشوة ٢٧ كانون الثاني يمتدُّ الى الشرق بميلٍ الى الشمال. ومنذ ٥ كانون الاوَّل كان هذا المذنَّب يبتعد عن الشمس ولذلك ما امكننا ان نتظرهُ الَّا وقتًا قليلًا

ومع هذين المذنَّبين رصد الفلكيُّون في الشقّ الجنوبي من كرتنا نجمًا آخر ذا ذنب في مرصد بلاد لاپلاتا في ٣١ تشرين الاوَّل. وهذا النجم ظهر في عالمنا مرَّة اولى في سنة ١٨١٩ فدُعي باسم مكتشفهِ مذنَّب ڤنيك (Winnecke) وذكروا اخيرًا ظهور مذنَّب رابع لا يُرقب الَّا بالمكبِّرات والله اعلم

٥

المراكب الهوائيَّة – فن الطيران

لمَّا سبقت فرنسة الى استعمال الفوَّاصات البحريَّة اسرعت بقيَّة الدول الى مجاراتها وبعد قليل اتَّخذت كل دولة لها طرزًا مخصوصاً سوف تبيَّن لنا الحرب المستقبلة فضل كل منها (اطلب المشرق ٢ : ١٣٣). وكانت فرنسة في اثناء ذلك تسعى ايضًا في قبض ازمَّة الهواء فتنشَّط ابناءها على رقي الجوّ او تدعو الاجانب الى بلادها لادراك هذه الغاية فاشتهر اذ ذاك الضابطان كرابس (Krebs) ورينار (Renard) وسانتوس دومون (Santos-Dumont) ولوبردي (Lebaudy) الخ. فكلّ هؤلاء اصابوا في استحضار مراكبهم الجويَّة وتركيبها وتدبيرها في الجوّ شهرة بعيدة اكسبت فرنسة فخرًا واثارت في قلوب اقرانها غيرة ومنافسة

فنزلت المانية في هذا الميدان الهوائي وشدَّدت عزمة الجنرال زابلين (Zeppelin) الذي اصطنع مراكب على طرز مختلف فاتَّخذ مناطيد صلبة جعلها في اقفاص من الالومينيوم. وهذه المراكب كبيرة بلغ الموسوم منها بعدد (Z^4) ١٣٢ مترًا اي تقريباً على طول مركب الساجريّ الذي يمرّ في بيروت المسمّى پرتغال وقد نال السبق في طول مكثهِ في الهواء فبقي في السنة الماضية ٣٦ ساعة دون ان يهبط الى الارض

وهذه المراكب الهوائيَّة التي ارتفع بها هؤلاء مبنيَّة كلّها على مبدإ الغازات التي هي اخفّ من الهواء. فاراد الانسان ان يجاري الطائر في الطيران فيحلق مثلهُ رغمًا عن ثقلهِ فانَّ الطائر ايضًا اثقل من الهواء الَّا انهُ اذا بسط اجنحتهُ ورفرف بها تقلَّب في

انحاء الجوّ كيف شاء هبوطاً وصعوداً حتى يجعل الهواء طوع مشيئته وخادم عزيمته. فلم يرضَ ابن آدم ان يغلبهُ الطائر فعزم على التجنُّح الصناعي ليستعيض بالآلات عمَّا بخلت عليه به الطبيعة فاتخذ الطيَّارات الهوائيَّة (aéroplanes) وجعلها بدل الاجنحة ليرفرف بها في الهواء ليس بحركة اعضائه كما يفعل الطائر ولكن بأداة محرّكة تُدير تلك الاجنحة وترفّ بها وهذا المحرّك يجري اما بقوَّة الكهرباء واما بغاز البترول او بالبنزين. وهذه الطيَّارات على صنفين صنفٌ منها ذو جناحين بسيطين فيقال لهُ موحَّد الجناح (monoplan) وصنف لهُ طبقتان من الاجنحة تركب طبقة على الاخرى فيُدعى مضاعف الجناح (biplan). ولانَّ الطائر والسمكة يستعين كلاهما بذنبه للحركة كذلك لهذه الادوات الطيَّارة زِمكّى اي جهاز مذنَّب لمقاومة الريح وللصعود والهبوط كما سترى في وصف طيَّارة بلاريو (Blériot). ومعلوم انَّ الطائر اذ كُسر جناحهُ او ضمَّهُ الى جسمه لا يستطيع الطيران فيسقط من علُ وهذا ما يجري لتلك الأدوات إن أُصيب جناحها باذًى اما بفعل الريح او لسبب اخر فتسقط وتودي بحياة الطائرين بها

فالطيران قد بلغ في هذه السنين الاخيرة مبلغاً عجيباً وكان الفضل في ذلك الى الفرنسويين. فجرت عدَّة سباقات أتت بنتائج غير منتظرة وهاك ملخَّص حوادث الطيران في السنة المنصرمة ترى منها تقدُّم هذا الفنّ الى غاية تدهش الافكار. ففي ٣١ كانون الاوَّل من السنة ١٩٠٨ نال الاركي رَيت فوزًا باهرًا في مدينة مان (Mans) ففي مدَّة ساعتين وثُلث قطع على طيارته مسافة ١٥٠ كيلومترًا. وفي ٤ تشرين الثاني ١٩٠٩ جاراهُ فارمان (Farman) في شالون فقطع في ٤ ساعات و١٨ دقيقة مسافة ٢٣٢ كيلومترًا فنال السبق بطول مدَّة الطيران. امَّا الارتفاع فحاز فيه قصبة السبق مرَّتين لاثام (Latham) اذ ارتفع طائرًا مرَّة اولى في ١ كانون الاوَّل فبلغ ٤٧٥ مترًا في شالون سور مارن ثم عاد فارتفع الى علوّ الف متر في ٧ كانون الثاني. امَّا السرعة فكان السبق فيها للكونت دي لامبر (C^te de Lambert) الذي قطع في ١٩ تشرين الاوَّل مسافة ٥٥ كيلومترًا في ٤١ دقيقة اذ صعد من المحلّ المدعو « مركز الطيران » في خارج باريس فطار على علوّ برج ايفل ودار حولهُ ثم عاد على أدراجه

الَّا انَّ بلاريو (Blériot) أنسى السابقين بقطعه مضيق المنش باقل من نصف

ساعة في ٢٥ تموز. وكان قرينهُ لاثام قبل ستَّة ايام اراد ان يسبقهُ الى هذه المأثرة على مركبتهِ المفردة الجناح المدعوَّة اطوانت فسقط في البحر دون ان يُصاب باذًى فوجدوهُ طافقًا على الماء وهو يشرب سيجارة. امَّا بلاريو فطار من سانغات (Sangatte) قريباً من مدينة بولوني (Boulogne) الساعة ٤ والدقيقة ٣٥ صباحاً في وجهة انكلترَّة وكانت امرأتهُ راكبةً في نسَّافة تتَّبع زوجها بالنظر الَّا انَّ هذا بعد قليل غاب عن العيان واخبر انهُ لم يعد ينظر او يسمع شيئاً غير رفرفة آلتهِ لكنَّهُ قوَّى عزيمتهُ وشدَّ في تسيير مركبتهِ حتى بلغ ضفَّة انكلترَّة فنزل قريباً من دوفر بعد ٢٨ دقيقةً فقط. فحدَّث عمَّا جرى للطائر من الاستقبال البهيج في لندن وباريس ولا حرج. على انَّ بلاريو ما وصل الى هذه الغاية الَّا بعد ان جرَّب عشرين طيَّارة أخرى فقازت هذه المدعوَّة بلاريو ١١ (Blériot XI) وهي كما قلنا من جنس المفرد الجناح وكثيراً ما تشبه الطائر فيفضلها لذلك بلاريو ومثلهُ لاثام بخلاف رَيت (Wright) الذي يؤثر الادوات المضاعفة الاجنحة

وآلة بلاريو على مثال طائر كبير يبلغ طولها ثمانية امتار وطول اجنحتها منتشرةً ٨ م ٦٥ س. وهيكل هذا الجهاز يتركَّب من خشبتي دَوْدار وحور فتكون صلابتهُ ضعف صلابة الفولاذ. وراس الجهاز من الامام على شبه السكة وقد جُعل في رأس الهيكل المذكور رقَّاص طولهُ متران و٨ س وفي وسط الجهاز كالقلب في الجسم الاداة المحرِّكة مع ما تحتاج اليهِ من الغازات او من الماء يليها غرفةٌ صغيرة يقيم فيها صاحبها ويقربهِ الادوات اللازمة لتدبير طيَّارتهِ. وهناك على الطرفين يمتدُّ الجناحان وهما على شكل مربَّعَيْن مستطيلين من نسيج متين مطليّ بانكاوتشوك وقد جُعلت زاوية الجناحين العليا على شكل زاوية منفرجة كالطائر في طيرانهِ وقت الصحو. وفي مؤخر الجهاز من تحتهِ ذنب الطيَّارة وهو مربَّعان مسطَّحان افقيًّا يحملان سكَّان العُنق اي الآلة التي بها يرتفع الطائر او يهبط وفي الطرف الاخير دفَّة التدبير ليدور الطائر يميناً او شمالاً. وللآلة ثلاثة دواليب تمكِّنها من الطيران بذاتها دون مساعدة

فتلك هي الطيَّارة التي اكتسبت بلاريو ذكرًا مخلَّدًا حسدهُ عليهِ اقرانهُ الَّا انَّ كلَّ هذه ادوات الطيران سواء كانت منفردة الجناح او مضاعفتهُ دقيقة الصنع سريعة الطلب وقد كاد بلاريو نفسهُ ان يذهب ضحيَّة عمله فانَّ طيَّارتهُ في الاستانة صدمت بسطح بيت فوقع من علُ لكنَّهُ لحسن الحظ لم يُصب الَّا باذًى خفيف وكان سبق فاعلن انَّ

مكان ارتفاعه ضيق على حركاته. وكم تهور غيره في أخطار الطيران فمنهم من نجا بعون الله كلانام آخرًا فانه سقط من علو ٢١ مترًا في عين شمس قريباً من مصر وكسانطوس دومون في باريس ومنهم من وقع فكانت القاضية عليه كاوفائر الذي كان امتاز سابقاً في سباق شمپانية فوقع في جوفيزي (Juvisy) قريباً من باريس ومات. وفي ٢٥ منهُ قُتل ضابط وملازمان سقطا من المنطاد المنقاد ريپوبليك في اثناء الحركات العسكرية التي اجروها بجوار بولوني سور مار. وفي ٤ كانون الثاني من هذه السنة وُفجع الطيران بوفاة احد مشاهير هذا الفنّ دي لاغرانج الذي وقع قريباً من بوردو من علو ٢٠ مترًا لانضمام اجنحة آلته فمات من ساعته

وكما تقدَّم فنّ الطيران في السنة المنصرمة هكذا ايضاً نال بعض ركاب المناطيد سمةً يعاثرهم فانَّ الايطالي سيالتريني الذي كان في السابق تجاوز بعض القمم العالية كجبل ينفراو (Jungfrau) سنة ١٩٠١ وجبل سان غوتار سنة ١٩٠٧ وجبل روز سنة ١٩٠٨ قد مرَّ في ٨ آب الماضي فوق جبل « مون بلان » الذي يعلو فوق سطح البحر ٤٨١٠ متر وقد سبق انَّ زابلين بمنطاده الموسوم بعدد ٢ امكنهُ ان يتجوَّل في اطراف الجوّ ٣٦ ساعة متواصلة في آخر ايار. فاستوقف الامر نظر انكلترة التي امرت بابتناء منطادين الاوَّل من طرز المنطاد « پاتري » والآخر من طرز « زابلين » وسيكون اكبر منهُ طولهُ ١٥٢م وسرعتهُ في الساعة ٧٢ كيلومترًا وموعد تمامهِ في اربعة اشهر

فهذه المراكب الجوية كما ترى صارت تتهدَّد الممالك في الحرب. فاخذت الدول تأخذ منها حذرها فانَّ معمل كروب على ما يقال صبَّ مدفعاً ترتفع فوهتهُ على زاوية ٦٠ درجة ويقذف قذائف حتى علو ١٢٠٠ بل ١٥٠٠ متر يُرى سيرها نهارًا بدخانها وليلًا بنورها لتسديد ضرباتها وهي تنفجر في الجوّ وقد برَّبوهـا على بعض المركبات الهوائية فاتلفتها

ونختم هذا النظر العام في الاكتشافات العلميَّة بذكر النجاح الذي ناله ضابطان فرنساويان اللذان اخترعا الة تليفون بلا اسلاك وجرَّباها بين السفينة كنده (Condé) وساحل طولون على مسافة ١١٠ كيلومترات في ٥ حزيران فجاء الاختبار طبق الآمال الا انَّ سرّ هذا الاختراع لا يزال خفيًا. فسبحان الذي اودع الطبيعة اسرارهُ العجيبة ومكَّن الانسان من كشف حجابها

الآداب العربية
في القرن التاسع عشر

بحثٌ تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

أدباء النصارى في ختام القرن التاسع عشر (تابع)

(سليم بك تقلا) وكأنَّ تلك السنة ١٨٩٢ كانت مشئومةً على الآداب العربيَّة فتوفي في اواسط تموز رجل لبنانيّ نبغ في تحرير الجرائد خصوصاً نزيد سليم بك تقلا. ولد المذكور سنة ١٨٤٩ في كفرشيما وكان روميًّا ملكيًّا كاثوليكيًّا فاستنشق ريح الآداب التي نمَّ شذاها في مسقط رأسه من الحديقة اليازجيَّة فدرس في صغره في مكتب قريته ثم دخل مدرسة اعيبه الامريكانيَّة الى سنة ١٨٦٠ حيث نزل الى بيروت فاكمل دروسهُ في المدرسة الوطنيَّة على المعلم بطرس البستانيّ وابنه سليم وكان في كل تعليماته مثالًا لاقرانه يسبقهم بذكائه ورغبته في احراز العلوم . ولمَّا أنشئت سنة ١٨٦٥ المدرسة البطريركيَّة في بيروت انتدبهُ اصحابها الى تدريس العربيَّة فيها فكان وصيفاً للشيخ ناصيف اليازجيّ وكان يلقي عليه مشاكلهُ اللغويَّة حتى رسخت قدمهُ في العلوم اللسانيَّة وامكنهُ وضع كتاب مدرسيّ في الصرف والنحو دعاهُ مدخل الطلَّاب فاتخذتهُ المدرسة دستوراً للتعليم وزادت ثقة الرؤساء به فجعلوهُ رأس اساتذتهم ووكيل اعمالهم. ثم اجتذبتهُ مصر لما رأى في ربوعها من الحريَّة وفي امرائها من الاريحيَّة والتنشيط فاتَّها ورفع الى خديويها اسماعيل باشا قصيدة رنَّانة مهَّدت له سبيل النجاح فنال الامتياز بانشاء جريدة الاهرام سنة ١٨٧٥ وهي التي لا تزال الى اليوم احدى جرائد مصر اليوميَّة الكبرى فتحيا بروح منشئها وقد لعبت في حياته بهمَّته دوراً مهمًّا مع ما صادفتهُ في سيرها من العوائق لاسيما سنة ١٨٨٢ وقت الحوادث العرابيَّة الَّا انَّ عزم محرِّرها لم يُغلب بتلك العوارض بل زاد نشاطاً وعانى اعمال الصحافة الى وفاته فتوفي في بيت مري سنة ١٨٩٢ وكان قصد لبنان تغييراً للهواء وطلباً للشفاء من الم اصابهُ في القلب فلم يمهلهُ رجلهُ

زمناً طويلاً ونُقلت جثّتهُ الى موطنهِ باكرام. وكان لسليم بك تقلا موقع عظيم في نفوس ارباب الامر من دولتهِ فنال منهم والدول الاجنبيّة عدّة رُتب وامتيازات شرفيّة. وهو قد ابقى من آثار قلمهِ ما خلا فصولهُ ومقالاتهِ المتعدّدة في الاهرام مجموعاً فيهِ مقاطيع من نظمهِ ونثرهِ. فمن حسن شعرهِ قولهُ يصف اساطيل حربيّة:

تلك الاساطيلُ فوق الغمر سابحةٌ ... والنسرُ منها كهولٍ وهي كالفُلكِ
دانت لهيبتها الانواء خاضعةً ... فحيثما قصدتْ حلّت بلا مهلِ
خاضت عبابَ بحار الارض آمنةً ... عصفُ الرياح وقصفُ الرّي بالكللِ
اذا شكتْ سفنُ المصر العنيد ظا ... تُرّابها اوردتْها الماء للدّغلِ
وان تناسخ حصنٌ دُكّ عن أُسسٍ ... ولو تطاولَ مرفوعاً الى زُحلِ
غابها الجنُّ ثمّ الانسُ من بشرٍ ... والنّسر في الجوّ مثل الموت في الوشلِ
هذي قوى الماء فوق الماء ناشرةً ... بند الهلال فصفْ ما تبتغي وقُلِ

ولسليم بك تقلا غير ذلك ممّا لم يُطبع كرسائل ونُبذ تاريخيّة وروايات معرّبة منها رواية متدريات ورواية أيوب البارّ. وهذه رسالة كتبها في تهنئة:

السيّد السند الطال الله بقاءهُ. لا ادري اي التلثة اهنّئ ايّاك ام الرتبة ام نفسي امّا انت فتسابيك وان كُنتَ فوق ما نلتَ وامّا الرتبة فبتشرّفها لأنّها دون من سمت اليهِ وامّا انا فلأني اوّل مُخلص لك وُدّك فتهنّئتي بما أفتخر بهِ لك ويا حبّذا لو كان لي مداد برقي ويراع كهرباني أفيك بهِ حقّك من سروري ولبُّ ما بين قلبَيْنا يقوم هذا المقام مني فأقوى:

فان أشكُكْ أُراجعْ فالدليل معي ... وان تشكُكْ فراجعْ فالدليلُ معكْ

ومن ظريف قولهِ في من عذلهُ على التدخين:

عذلَ التدخينَ قومٌ قد رأوا يدي سيكارةً اعشقُها
قال دعْها فهي سمٌّ ناقعٌ قلت لا وقهِ لا اعتقُها
ان تكن سمّاً فاني محرقٌ شرّها بالنار اذ أحرقُها
وعليهِ فاعذلوا او فاعذروا قتلى العالمين لا أطلقُها
ان حلالاً او حراماً اشربا فانا الصبُّ الذي يشقُها

وقام من بعد سليم بك شقيقهُ (بشاره باشا تقلا) وكان ثنيانهُ في التأليف والعمل وتولّى شؤون الجريدة بنشاط تسع سنوات اعرب في اثنائها عن همّة عالية وعزم شديد استحقّ بهما اعتبار الجميع فانقادت لهُ الدنيا عفواً ونال كأخيهِ الابتسامات. لكنّ الموت عاجلهُ فتوفي في حزيران من السنة ١٩٠١ وهو في اوّل كهولتهِ كاخيهِ لا يتجاوز عمرهُ ٤٨ سنة

(القانونيّ نقولا نقّاش) هو نقولا بن الياس نقاش اخو المرحوم هارون نقاش الذي سبق ذكرهُ (في المشرق ١١ : ٣٨٢) وهناك اشرنا الى اصل العائلة من صيدا وانتقالها الى بيروت . وكان مولد المترجم في هذه المدينة سنة ١٨٢٥ ويجري على آثار اخيه في طلب العلوم ودرس اللغات وساعدهُ في انشاء الروايات التمثيليّة . ثم تعاطى التجارة من السنة ١٨٥٩ الى السنة ١٨٦٨ فانتدبتهُ الحكومة الى خدمتها كعضو مجلس الادارة في لواء بيروت وكمدير جمارك الدخان فانكبَّ على مطالعة قوانين ونظامات الدولة العليّة وتخرَّج في العلوم الشرعيّة على مشائخ العلماء اخصهم الشيخ يوسف الاسير فاحرز شهادة وكلاء الدعاوي ونُصب عضوًا دائمًا لمحكمة بيروت التجاريّة واشتغل وقتئذٍ بالتأليف وعرَّب عن التركيّة عدَّة كتب قانونيَّة واضاف اليها الشروح والفوائد حتى صارت في دوائر الحكومة المحلّيّة بمثابة الترجمة الرسميَّة يُرجع اليها في حلّ المشاكل . وذاعت شهرة المؤلف بذلك حتى وقع عليهِ الاختيار سنة ١٨٧٨ كمبعوث بيروت الى الاستانة في الندوة الدستوريَّة لولا انَّ ثمرة الدستور لم تنضج بعد فعاد بعد مدَّة الى وطنهِ وانشأ سنة ١٨٨٠ جريدة المصباح الكاثوليكيَّة فنالت بتدبيرهِ ومقالاتهِ شهرة واسعة طول حياتهِ . وقد ضعف نور ذلك المصباح بوفاة منشئهِ حتى انطفأ تمامًا . وكان المرحوم نقولا نقّاش شديد التمسُّك بالدين مجاهرًا بايمانهِ كما تشهد لهُ بعض تآليفهِ كتكريم القديسين ومجموع صلوات دعويَّة . ولهُ من الكتب الادبيَّة خطب في مواضيع شتى سياسيَّة واجتماعيَّة ولهُ ديوان شعر طُبع في المطبعة الادبيَّة سنة ١٨٧٩ ضمَّنهُ كثيرًا من المعاني الحسنة والاوصاف العصريَّة فمن ذلك قولهُ من قصيدة طويلة ارَّخ فيها وصول مياه نهر الكلب الى بيروت سنة ١٨٧٥ :

يا اهل بيروت بشرى قد صحَّ فينا الرجاء
هذا هو الماء جار فَلْنغتنِمْ منهُ الظماء
ماء لذيذٌ شهيٌّ ردُّوهُ فيهِ الهناء
بيروت ضاقت دهشًا وزال عنها العناء
فقل لمن عيَّرونا وقلَّةُ الماء داء
تعالَوا الآن تلقوا ماء وفيهِ الشفاء
سقيًا لبيروت ارَّخ في ثغرنا حلَّ ماء (١٨٧٥)

ومن اوصافهِ تعديدهُ لعجائب العصر :

الله اكبرُ هذا عصرُ تجديدِ عصرُ المعارف لا بل عصرُ تمجيدِ
عصرٌ جديدٌ لهُ الاكوانُ باسمةٌ تثني على اهلهِ الفرّ الصناديدِ
ذيّاك ينطق في تسبيح خالقهِ وذاك يلهج في حمدٍ وتوحيدِ
هذا يطير الى العلياء بنفثهِ وذاك يخرقُ اجبالَ الجلاميدِ
ترى السفائنَ اعلاماً مدرّعةً إن تصدم الحصنَ ألقى بالمقاليدِ
ما البيضُ ما السُّمرُ إن ألقت مدافعُها كُرَاتِها الحُمرَ من أفواهها السُّودِ
كما تخافُ من الأفلاك صاعقةً أضحت من اليمّ تأتينا بتهديدِ
تجوبُ اخبارُنا كالبرقِ مسرعةً تكادُ تسبق فكراً غيرَ مولودِ
اضحت قوافلنا والنارُ تحملها تسيرُ كالطيرِ لا كالبسِ في اليدِ
والله ما قدلُ قوّات البخار سوى ضربٍ من السحر لكن للخير محمودِ
هي الطبيعةُ جلَّ الله مبدعُها الى الوجودِ بدت من عمق مفقودِ
كلٌّ يحاولُ منها كشفَ معجزةٍ فكلُّ مَن جدَّ يلقى جلَّ مقصودِ

ومن محاسن نظمهِ قولهُ في لبنان ومقاطعاتهِ بعد حوادث السنة ١٨٦٠:

فه درُّك يا حمى لبنانِ اذ اصبحتَ مغتنم الرضا الشاهاني
نُشرت معارفهُ الجليلة اذ غدا يروي حديثاً عن بني نبهانِ
وبقاعهُ ذاك العزيزُ مقامهُ اضحى عزيزاً اخصب الوديان
وبغابهِ وبزرعهِ حلَّ المنى والجُرد اضحى حاملاً الأمانِ
وبشوقهِ يُشفى العليلُ تيمُّناً غرباهُ قُلْ بالخير يلتقيانِ
قد مُدتَ يا عرقوبهُ عمّا مضى وغدوتَ معروفاً بصدقِ لسانِ
وكذا المناصفُ أنصفت لما صفت في خدمة تُهدى الى الأوطانِ
وبكروانَ ترى الامانَ موطّداً من سيفِ كسراهُ الجليلِ الشانِ
وترى القُرَيطع كالقطيع مطاوعاً وكذاك قاطعهُ برصلِ دانِ
وجبيلهُ وجبالهُ وسهولهُ وسمورهُ ساكت رياض البانِ
وبزاريتي (كذا) قد بني نعم البنا هل لا وذا وعدٌ من الرحمانِ
نحمي بسيفٍ باترٍ بترونهُ وكذا غدت أميونهُ بأمانِ
نادى حسامُ الدلِ فيهِ هاتفاً ألقي «بشرّي» كلَّ من عاداني
بجنوبهِ وشمالهِ تلقى الضنا وبشرقهِ وبغربهِ هتّانِ
قُم أجنا الشيخُ القديمُ زمانهُ وانظرْ عجائبك بهجةَ الأكوانِ
نبعَ الربيعُ بنحو عاملك خوذةً كزبرجدٍ قد صيغ مع مرجانِ
عامٌ تعلّمهُ الثلوجُ أكللهُ بيضاء تكني من جليلِ معانِ
والخصبُ في أكنافهِ ووسوطهِ قُل جنةٌ تردانُ بالافنانِ
حتى الصخورُ قدت رياشاً أثمرت من كل فاكهةٍ جنا زوجانِ

ومناهل يجبي القلوبَ ورودُهـا ومبوئهُ تروي ظما الظمآنِ
هو جنةٌ في الارض تحكي للسما والحاق ترتع في رياض امانِ

ولهُ قصيدة طويلة تنيف على ١٤٠ بيتاً دعاها التوبة وضمّنها المعاني الزهديّة. وقد رويا لهُ في المشرق (٥ : ١٣١) نشيداً نظمهُ لجمعيّة مار منصور. كانت وفاة نقولا نقّاش في ٤ كانون الاوّل سنة ١٨٩٤ فأبّنهُ اصقع الخطباء ورثاهُ جلّ الشعراء فجُمعت اقوالهم في كرّاس مخصوص. وقد ورث اولادهُ من بعدهِ آدابهُ فعُرف منهم كبيرهم المرحوم يوسف ولهُ بعض الآثار الادبيّة. والقانوني جان صاحب كتاب مغني المتداعين عن المحامين. ومن الاسرة عينها الشهير (سليم بن خليل) المتوفّى في ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٨٨٤ وهو صاحب جريدة المحروسة ومحرّر العصر الجديد ولهُ تاريخ المسألة المصريّة سمّاهُ «مصر للمصريين» وكتب عدّة فصول ومقالات وروايات طُبعت في بيروت ومصر. ونضيف الى هؤلاء (جرجس بن حبيب) المتوفّى في ١٧ تشرين الاوّل سنة ١٩٠٧ وكان من ادباء طائفتهِ لهُ بعض المصنّفات في تاريخ العرب اوقفنا عليها وهي لم تُطبع. وسليم وجرجس ابنا اخوي نقولا نقّاش

(يوسف الشلفون) كان احد انصار النهضة الادبيّة في الفصل الثاني من القرن التاسع عشر. وهو يوسف بن فارس بن يوسف الخوري الشلفون وكان جدُّهُ حاكماً على ساحل لبنان من قبل الامير بشير الشهابيّ الكبير. اما حفيدهُ يوسف فكان مولدهُ نحو السنة ١٨٤٠. درس في مكاتب بيروت مبادئ العربيّة واللغات الاجنبيّة واشتغل مدّة في المطبعة السوريّة التي انشأها المرحوم خليل افندي الخوري سنة ١٨٥٧ بصفة مرتّب حروف ومصحح مطبوعات. وفي اثر حوادث سنة ١٨٦٠ استدعاهُ فؤاد باشا معتمد الدولة العليّة لترتيب ونظارة المحرّرات الرسميّة التي كانت تُطبع في التركيّة والفرنسويّة. وبعد ان تقرّر نظام جبل لبنان انشأ على حسابهِ مطبعتهُ المعروفة بالمطبعة العموميّة سنة ١٨٦١ ونشر فيها عدّة مطبوعات عدّدناها في المشرق (٣ : ١٠٠١ — ١٠٠٣) وكان يوسف الشلفون ذا همّة عظيمة فانتدبهُ اوّل متصرّفي لبنان المرحوم داود باشا لتنظيم مطبعة في مركز المتصرّفيّة فقام المندوب بهذه المهمّة القيام الحسن. ثم صرف عنايتهِ الى انشاء الجرائد فنشر منها اربعاً وهي الزهرة ثم النحلة ثم النجاح واخيراً التقدّم وذلك بالاشتراك مع بعض الكتبة المجيدين كالقسّ لويس صابونجي والقسّ

يوسف الدبس واديب اسحاق. ثم اشترك مع المرحوم رزق الله خضرا فجعل مطبعتهُ في خدمة الطائفة المارونية الى ان انفصل عنها وانشأ المطبعة الكاثوليكية كما فصَّلنا كل ذلك في تاريخ الطباعة في المشرق (٣: ٥٠١) وقد اضرَّ بالمترجم تنقُّلهُ في الاشغال وميلهُ الى ذوي المبادئ الحرَّة. وكان احد اعضاء الجمعيَّة العلميَّة السوريَّة وفي مطبعتهِ نُشرت اعمالها في السنتين ١٨٦٨ و١٨٦٩. وكان حسن الكتابة ولهُ نظم جمعهُ في ديوان وطبع قسماً منهُ في مطبعتهِ الكاثوليكيَّة سنة ١٨٧٤ ودعاهُ انيس الجليس. فمن نظمهِ قصيدة في مدح داود باشا هذه بعض ابياتها:

ضاءت بشمس سعودكَ الايام ... وزهت بطلعة مجدك الاعوامُ
وسما بذاتك سفحُ لبنانُ الذي ... حسدتهُ مصرُ بعزهِ والشامُ
فكأنهُ فلكٌ وانت بأفقهِ ... بدرٌ له دون البدور مقامُ
افطارهُ بالعدل منك استأنست ... ورعت بها الآسادُ والاغنامُ
يا ايها المولى الذي عن وصفهِ ... وثنائهِ قد كلَّت الاقلامُ
قلَّدتَ قوماً تحت امرك منَّةً ... لم تُحصِ واجبَ شكرها الأرقامُ
ونسختَ آياتِ المظالم بعدما ... قامت على ساقٍ بها الأقدامُ
ونصبتَ يا داودُ احكاماً بها ... ظهرَ اليقينُ وزالتِ الاوهامُ
فينا لك الذكرُ الجميلُ مخلَّداً ... هو في الحديث بدايةٌ وختامُ

وقال مهنئاً احد الرهبان اليسوعيين في عيدهِ فافتتح كلامهُ بهذه الابيات:

المرءُ يُعرَفُ في جميل خصالهِ ... ويُعزُّ عند مقالهِ وفعالهِ
والشهمُ من نال العُلى في جدِّه ... حتى غدا الرائونَ دون منالهِ
ويشيد صرحَ الخير في طلب العُلى ... كي يُدرك الأفلاك في اعمالهِ
ويرى اتقاء الله خيراً يرتجى ... يوماً ويشقى قلبهُ بزوالهِ
ويميل عن كل الانام تعفُّفاً ... ويرى بحبِّ الله راحةَ بالهِ

ولهُ قصائد في اماثل الرجال وكبار الامراء الذين قدموا بيروت ومدح امبراطور النمسا وولي عهد المانية وانكلترة وسمو الخديوي اسماعيل باشا فاستحقَّ بذلك بعض الامتيازات الشرفيَّة لكنَّهُ توفي خاملاً

(سليم جدي) وفي السنة ١٨٩٥ عيَّنها انتقل في ربيع عمرهِ شابٌّ اديب قصتهُ المنون غصناً يافعاً نزيد بهِ سليم بن نصر الله جدي من أسرة جدي المعروفة بفضلها في بيروت. كان مولدهُ نحو السنة ١٨٧٠ وتخرَّج في الآداب والعلوم في كليتنا.

وقد عرفناهُ حق معرفةٍ اذ كنّا ندرّسهُ العربيّة وكان في مدرستنا مع المرحوم (نجيب حبيقه) صاحب القاموس الاسود فعهدناهما طالبين يتلهّبان شوقاً الى خدمة الاوطان فيجريان منذ ذاك في ميدان الآداب كخيل الرهان ولكليهما مآثر نثريّة وشعريّة لدينا منها اشياء متفرّقة والبعض منها قد نُشر بالطبع كعدّة قصائد وروايات . وكأنّ دار الآخرة حسدت الوطن على فضلهما فاشربتهما كأس المنون المرّة عاجلاً . الّا ان نجيباً عاش بعد قرينهِ عشر سنوات فمات في ٢٥ ك١ سنة ١٩٠٦ . ولسليم جدي رثاء في الشيخ خليل اليازجي صحّ فيهِ فكأنّهُ سبق ورثى نفسهُ بقولهِ :

لك بين الانام ديوانُ شعرٍ بجانبيهِ حرّك الجلمودا
تلك بانت للعصر مبتكرات ومن المجد أبنتك بروداً
لو درا الموت انّ ذلك درٌّ للمعاني نظمتَ منهُ عقودا
ما اصابت سهامهُ لك قلباً كان قبل اللسان يُنشي القصيدا

ولزميلهِ نجيب مصنّفات مدرسيّة اخصُّها درجات الانشاء في ثلاثة اجزاء . ومن قولهِ وصفهُ للسفينة البطرسيّة في يوبيل البابا لاون الثالث عشر وهو اذ ذاك تلميذنا :

عصفتْ على بحر الأنام رياحُ حجب النهارَ من الظلام وشاحُ
وعوت صواعقُ صعقاتٍ أزعجت بشرًا فكادت ترهقُ الارواحُ
والبحر عاد عرمرماً مُصخباً والموجُ ثار فساء منهُ جناحُ
والناس في غمر المخضّم جمهم خاضوا فليس من الفرار براحُ
ورأوا المياه تلاطمت امواجها وعلت عليهم كالجبال وصاحوا
طمّت المُصيبة فالنجاة قد دنت آهًا اليس من الهلاك براحُ
لكن على سطح المخضّم سفينةٌ وعلى مُقدّمها يُرى مصباحُ
قد أقبلت وتطايرت لملاصهم شكرًا لجدّك ايها الملّاحُ
فيكَ النجاة وليس غيرك يرتجى واليك كلُّ قلبهُ ملتاحُ
ها قد تقدّمت السفينةُ نحوهم فنجوا جا آرم وفيها راحوا
لم يَنأ عنها غيرُ مَن قد آثروا شربَ الحتوف فذي الضلالُ قباحُ
شاموا البروقَ فأمّلوا منها الهدى خابت ظنونهمُ فليس نجاحُ
لا نور في غير السفينة فاطلبوا من ينأ عنها ضاع من ضلاحُ
جدّوا ايا غرقى واسّوها بقو دكمُ اليها نورها الرضّاحُ
جدّوا فليس لكم خلاص دونها ولجميعكم فيها الدخول مباحُ
اعداؤها سخروا جا قبحًا لهم قالوا بأن تتحطّم الألواحُ

فالموجُ يصدمها فيدفعها فلا املُّ لنفسٍ بالنجاة متاحُ
واذا بصوتٍ صارخٍ كن آمنًا بين السفينة والبحر كفاحُ
فسفينة الصياد تقهر خصمها ابدًا لانَّ لها الصفا ملّاحُ
للحين عاد الزهر صفوًا رائقًا وعن البلايا زالت الاتراحُ

(شاكر شقير) وفي خريف السنة التالية خسرت أسرة كريمة من الروم الاورثدكس كاتبًا آخر من اسرة قديمة وهو شاكر مقامس شقير عُرف في بلاد الشام مدّةً بتفنّنه بالكتابة ونظم الشعر ثم انتقل الى مصر وانشأ فيها مجلّة الكنانة في نيسان سنة ١٨٩٥ فماتت بموت محرّرها بعد سنتها الاولى. وكانت وفاتهُ في وطنهِ الشويفات والمذكور عدّة مقالات وروايات وقصائد تجدها متفرّقة في كثير من المجلّات وقد روينا عنهُ قصّة ظريفة في المشرق (٩ : ٧٥١) عنوانها الطواف بالقربان الاقدس. ولهُ كتاب مصباح الافكار في نظم الاشعار طُبع في بيروت سنة ١٨٧٣ ومنتخبات الاشعار طُبع سنة ١٨٧٦ وعُني بتكرار طبع ديوان ابي العلاء المعرّي دون ان يزيد عليهِ شيئًا يُذكَر من المحسّنات. وشاكر اخ اسعد فارس ترك ايضًا بعض المؤلفات والمنظومات وخدم الحكومة في ولاية بيروت ومتصرفيّة لبنان. كانت وفاتهُ سنة ١٩٠٨. ومن حسن شعر شاكر قولهُ من رثاء في سليم دي بسترس دعاهُ حقيقة الاسف وقد تفنّن فيهِ كثيرًا:

قلبٌ وتلهفُ وتأسّفُ وتأفّفُ وتحسّرُ وتحرّقُ
كبدٌ تذوبُ وانفسٌ تشكو النا اذنٌ تطنُّ واعينٌ تتدفّقُ

ثم انتقل الى بحر آخر وقافية أخرى فقال:

سليمُ الفؤادِ لهُ طلعةٌ تحيّي الشموس وتزري القمرْ
وذو هيبةٍ كأسودِ الشرى وانسٍ كانسِ الغزال الأغرْ
تخرُّ الذقونُ لهُ سجّدًا ترى العيونُ بهِ اذ حضرْ
ملءُ المكانِ جليُّ البيانِ طليُّ اللسانِ ملءُ البصرْ
نقيُّ البنانِ تقيُّ الجنانِ رقيُّ الزمانِ بقيُّ الأثرْ

ومما قالهُ سنة ١٨٦٩ في مدح الجمعيّة السوريّة:

زهرة روضٍ كلّما طال وقتها تزيد نموًا بالجمالِ مُقلّدًا
جا افتخرت بيروت حتّى لقدست على كلّ مصرٍ وهي تُشبهُ فرقدا
مؤلفةٌ من كل صاحبِ غيرةٍ ذواتٍ بنَوا للخيرِ بيتًا مشيّدا
كواكب سعدٍ يسطعُ اليوم نورهم وجدي الذي في الجهل ضلّ الى الهدى

وقد البسوا بيروت حلّة سؤدد تتيه بها اذ اصبحت منبع الندى

ومن نظم فارس قولهُ من قصيدة في رثاء نقولا نقّاش :

من كان بالامس نقّاش الصحاف بدى يُنبيك حسّانَ او يزري بسحبانِ
من كل نثر انيق الوصف مندمج وكل شعر رشيق النظم طنّانِ
كم حرّر اللفظ والمعنى تصوّرهُ بما استرقّ لهُ احرارَ تبيانِ
اذا انبرى لا يبارى في مناظرةٍ وان جرى لا يجارى بين اقرانِ

وختمها بقوله :

مضى الى الله حيث الدارُ خالدةٌ مستوفيًا أجرَ اعمالٍ وايمانِ
لا يبرح النورُ فيهِ فوق مضجعهِ تمت الأكلّةُ من آسٍ وريحانِ

(امين شميّل) اسرة شُميّل هي فرع آخر من دوحة الآداب التي نمت في كفرشيما . يقال ان اصلهم من حوران فاستوطنوا كفرشيما في مبادئ القرن التاسع عشر . وكان مولد امين بن ابراهيم شُميّل في ١٤ شباط سنة ١٨٢٨ وتلقّى مبادئ العلوم واللغة الانكليزية في مدرسة الاميركان في بيروت فامتاز بين اقرانهِ . ثم سار الى رومية في بعض شؤون طائفتهِ فاصاب فيها نجاحًا . ثم رحل الى انكلترة وتعاطى ثمّ التجارة فاتّسعت اشتغالهُ وفتح محلاً في الاسكندرية فلم يزل في تقدّم ونجاح الى ان دار دولاب الدهر فاباد ثروتهُ . الّا انّ تلك الاحوال المشؤومة لم تملّ شباة عزمهِ فصفّى اشغالهُ وقصد مصر سنة ١٨٧٥ ليتعاطى فنّ المحاماة فبرز فيهِ واشتغل بالآداب وانشأ مجلّة الحقوق فكانت باكورة المجلّات الشرعية . ونشر في تلك الاثناء بعض التآليف القانونيّة كالمباحث القضائيّة ونظام الحكومة الانكليزية والتآليف السياسية للمسألة الشرقية . وكان وضع قبل ذلك رواية سياسية دعاها الزقاف السياسي . وكان ضليعًا بالآداب حسن الكتابة نثرًا ونظمًا وكان يضمّن تآليفهُ المعاني الفلسفيّة والاعتبارات النظرية والرموز كما تشهد لهُ بعض مصنّفاتهِ كبستان النزهات في فن المخلوقات الذي لم يُطبع وكالمُبتكَر في وصف الحياة البشرية ومقاماتها المختلفة منذ الولادة الى الموت انجز تأليفهُ في ليفربول سنة ١٨٦٧ فطبعهُ في المطبعة السورية في بيروت وكان لامين شميّل اولاد نجباء تهذّبوا كلّهم في كليّتنا البيروتيّة الا انّ يد المنون دهمت سنة ١٨٨٥ اثنين منهم في وقت واحد فتوفي ارثور في بيروت وفردريك الكبير في مصر

وكان كلاهما من اذكى تلامذة مدرستنا واكملهم ديناً وادباً وارقاهم في سُلَّم النجاح في الدروس فكان موتهما مصاباً اليماً على والدهما أضعف قواهُ وهدَّ ركن حياتهِ. لكنَّهُ لم يزل يجاهد جهاد المستميت حتى لبّى دعوة ربّهِ في اواخر سنة ١٨٩٧ في ٦ كانون الاوّل منها بعد وفاة اخيهِ اسعد ببضعة اشهر في لبنان (لهُ بقيَّة)

السرّ المَصون في شيعة الفرمسون

مقالة تاريخيَّة ادبيَّة عرانيَّة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٥ النظام الماسوني (تابع)

الباب الثاني

رواق الماسونية

بعد وصفنا لواجهة الماسونيَّة المحلاَّة بأزخرف الباطل خُدع السذَّج والاغرار هيَّا بنا نتخطَّى خطوةً أولى فندخل في رواق تلك الدار ولعلَّ الحجَّاب يمنعوننا عن الدخول اذ لا علم لنا بالشعار الماسوني والكلمة السرّيَّة ولا بأس فانَّ احد « الجزويت » الذين ادَّعى شاهين بك مكاريوس (المشرق السابق ص ١٥٢) انهُ رآهم في المحافل الماسونية واعتبرهم كجواسيس يُطلعنا على السرّ المصون فندخل في جملة الداخلين . والكلمة السرّيَّة هذه المرَّة هي « حرّيَّة الضمير » امَّا السلام الماسوني فمصافحة خاصَّة يضغط فيها الأخوان بالابهام على اليد بعضها

وها قد اجتمع بعد حين الاعضاء المنتظرون فدَعْنا نتعرَّف بهم ففي معرفتهم افادة فاذا هم بين الرؤساء الاخ ٣٣ . المعروف بجحودهِ للاهوت وبنبذهِ لكلّ دين . والاخ ٣٣ ب . المحامي الذي لا يدخل بيتاً الَّا سبَّ الاكليروس ونسبهُ الى الغايات السافلة . والاخ ٣٣ د . . . الطبيب المادّي الذي لا يقرّ بوجود نفس مجرَّدة فينتهي كل شيء على رأيهِ بحياة الدنيا وموت الجسد . والاخ ٣٣ ر . القائل بالمذهب الدروينيّ وتسلسل الانسان عن القرد . والاخ ٣٣ ع . الكاتب النوضريّ المدافع عن مبادي الاشتراكيين والناكر لكل سلطة

ورأينا هناك عدّة شبّان من المدّعين بالتمدّن العصريّ والمنتمين الى « الروح الجديد » منهم صنّاع مخازن وكتبة في محلّات تجاريّة وطلبة مدارس انجزوا دروسهم فقصدوا الماسونيّة رجاء ان ينالوا بشفاعتها وصاةً الى بعض المتموّلين. ومنهم فتية في مقتبل العمر يرجون من انصار الحرّيّة ان يخفّفوا عن اعناقهم نير الواجبات الدينيّة ويفتحوا لهم طريق الملاذّ والشهوات الباطلة دون رادع يكبحهم ولا ضمير يزجرهم

فسألت « الجزويتي الجاسوس » كيف يجذب الماسون هؤلاء الشبّان فيوقعوهم في اشراكهم ؟ ففتح لي كتاباً سرّيًا للاخ ... كلافل (Clavel) كان معهُ فقرأت فيهِ ما تعريبهُ بالحرف (١ :

« ان اراد اخوتنا الماسون ان ينظموا احدًا في شيعتنا الماسونيّة فليصفوهـا لهم وصفًا شائقًا قائلين لهم انها جمعيّة خيريّة غايتها التمرّي وان اعضاءها اخوة يعيشون بالوداد والمساواة . . . وانّ الماسوني وطنهُ المعمورة كلها فليس مكان في العالم الّا ويلقى اخوةً يتسابقون في اكرامهِ ومساعدتهِ ادى معرفتهم انهُ من شركتهم وبمجرّد استعمالهِ للشعار السرّي والمصافحات الجارية في العائلة الماسونيّة . وان رأوا احدًا يحبُّ الفضول ويتوق الى معرفة الاسرار فليقولوا لهُ انّ في الماسونيّة اسرارًا لا يعرفها غيرهم . وان عثروا على رجل يطلب رفاهية الحياة فليذكروا لهُ انّ في الماسونيّة مآدب متواترة يرشفون فيها بنت الحان ويأكلون المآكل الطيّبة توثيقًا لمروة الحبّ والمؤاخاة . وان كان المقصود ادخالهم في الماسونيّة من اهل الصناعة والتجارة فليثبتوا لهم انّ الشركة الماسونيّة تفيدهم في اربابهم وتوسّع نطاق اعمالهم وتنمّي عدد زبائنهم وقس على ذلك بقيّة الناس فعلى الماسوني ان يقدّم لكل واحد من الادلّة الموافقة لحالتهِ وحرفتهِ وعقلهِ وامالهِ فيجذبهُ بما هو اوفق لمقتضى الاحوال »

وكان في الكتاب منشور لاحد انئمّة الماسون يُرسل سرًّا الرؤساء المحافل الماسونيّة فقرأت فيهِ ما تعريبهُ الحرفيّ (٢ :

« عليكم خاصّةً بالشبيبة فلا تدّخروا وسعًا لكي تجتذبوها الى جماعتنا الماسونيّة بطريقة خفيّة لا يشعر بها الشبّان لئلّا ينفروا عنّا »

فاخذني العجب من هذا المكر الفظيع الذي لا يخجل الماسون ان يلتجئوا اليهِ في ادراك غاياتهم السيّئة ثم أدرت الالحاظ في الفرقة التي اجتمعنا فيها فاذا هي موشّاة

---

١) اطلب تاريخ الماسونية الخ ... كلافل Histoire pittoresque de la Franc-Maçonnerie, p. 3 et 8

٢) هذا المنشور ابرزهُ بالطبع المؤرّخ المدقّق كرانيو جولي (Crétineau- Joli) في كتابهِ عن الكنيسة الرومانية والثورة (ج ٣ ص ١ و١٤)

بالاقمشة الزرقاء وفي الصدر من جهة الشرق كرسي الرئاسة وامامهُ طاولة عليها مطرقة (شاكوش) وعلى الكرسي رجل جالس في تمام الكبرلة . ووراءهُ شبه الهيكل ومعلّق على الجدران عدّة رموز كالمثلث والزاوية والبيكار والميزان وخيط الشاغول وبعض النقوش الرمزيّة وفي مقدّمة الهيكل عمودان مزدانان بالحليّ على الواحد حرف ب والآخر حرف ج وهما على قول الماسون اوّل اسمَيْ بُعوز وجاكين ويزعم بعضهم انهما يشيران الى عمودي النار والسحاب اللذين سخّرهما الله لبني اسرائيل في طريقهما وهم يرون انّ الملك سليمان امر بوضعهما عند مدخل الهيكل الاورشليميّ تذكارًا لبني اسرائيل . اما الصادقون منهم فيؤوّلونهما تأويلًا آخر شتّان بينهُ وبين عمودي بني اسرائيل وهيكل سليمان فاسمع وتحقّق خُبث الماسون . قال الاخ ٣٣ راغون (١ ما تعريبهُ (:

« انّ عمودي جاكين وبُعوز يدلّان على المبدأين المتضادّين (يريد مبدأيْ مانى) النور والظلمة والخير والشرّ وعلى مبدأي الحياة النسلية (phallus) . فانّ غاية تعليم الماسونية انما هو وجود ذينك المبدأين المتنافيَين كما تراهما في تاريخ الشعوب كجهاد انيس وميثرا وكهرمزد واهريمان وكاوزيريس وتيفون وكالسيح والشيطان فانّ كل ذلك انما هو الجهاد الدائم بين النور والظلمة . . واما معنى هذه الرموز فالمُراد به الكبرياء والعظمة والخرافات والمراء والكذب والجهل والاوهام وظلمات النفس »

فما ابعد هذا الشرح عن اقوال شاهين بك مكاريوس في كتابهِ الاسرار الخفيّة في الجمعيّة الماسونيّة (ص ٦٤) حيث شرح معاني العمودين على خلاف هذه الشروح فمن نصدّق ؟ الاخوين راغون وكلافل او شاهين بك مكاريوس الذي يصف الماسونيّة بألوان الزخرفة والزيف تمويهًا على الشرقيين؟

ورأيت ايضًا في جدران المحفل شبه الشمس والقمر والكواكب ولمّا استعلمتُ اخي « الجزويتي الجاسوس » عن معناها الرمزي المصطلح عليهِ بين الماسون اشار اليَّ في كتابهِ الى بعض الصفحات التي ورد فيها شرح تلك الرموز فقرأتُ ما تعريبهُ للاخ راغون ٣٣ السابق ذكرهُ (٢ :

« انّ الشمس والقمر اللذين يزيّنان هياكلنا يراد بهما سُنن الطبيعة التي عليها مبنى الماسونيّة فانّ معرفة هذه السُّنن الثابتة هي التي تسوق بالماسون الى ذروة الهيئة الاجتماعية . وكل ديانة لا تستند الى هذه نواميس الطبيعة هي مخالفة للكون ومربية الطب »

---

١) اطلب كتابهُ في الفلسفة الماسونيّة ورموزها ص ٨٨ و ١٠١ ومثلهُ الاخ ٣٣ كلافل في كتابهِ المذكور ص ٧٥ و ١٤٣ الخ ٢) من كتابهِ السابق ص ٩٨

ففهمتُ من كل ذلك انّ الماسونيّة في رموزها وصورها وهيئة هياكلها لا تنوي سوى امر واحد وهو تأليهُ المادّة وتعظيم الطبيعة الميولّية

ثم شخصت الى الاخوة الماسون فاذا هم لبسوا مآزرهم المثلّثة ووشاحاتهم الخاصّة وجعلوا على صدورهم البركار والزاوية فاردت ان افهم معنى ذلك المثلث فاستفتيتُ الاخ ... راغرن فقرأت في كتابه ما تعريبهُ (ص ١٥٨)

« انّ العدد المثلث هو احسن الرموز عن الطبيعة فانّ زواياهُ الثلاث تدلُّ على مواليد الطبيعة الثلاث التي يتكوّن من مجموعها الله او الطبيعة . وفي وسط المثلث حرفا ي (ignis) وج (God) ومعناهما الروح المحيي اي النار والله اي الطبيعة الواحدة

الباب الثالث

الدرجات الماسونيّة الثلاث السُّفلى

الدرجة الاولى : الطالب

وكان في ذلك اليوم أُعدَّ المحفل لقبول احد طلّاب الدخول في الماسونيّة . فلمّا انتظم عدد الاخوة وجلس كل منهم في محلّهِ ورتبته وشاراته . وقف الاستاذ الاعظم وطرق مرّة بالمطرقة التي بيده قائلًا : ساعدوني يا اخوتي على فتح المحفل (١ . فوقف الجميع وتقلّدوا السيوف . واخذ الاستاذ الاعظم يُلقي على اخيهِ الحاجب وعلى اخويهِ المنتبهين وعلى نائب الاستاذ اسئلة مضحكة ان لم تنقل صبيانيّة من جملتها سؤالهُ للنائب :

س اين موضع الاستاذ الاعظم ؟

ج في الشرق

س وفي مقام مَن هو ؟

ج في مقام الملك سليمان

فكدتُ استغربُ ضحكًا لولا انّ « الجزويتي الجاسوس » زجرني فغضضتُ على شفتيّ بازاء قائم مقام الملك سليمان والمتختّم بخاتمهِ لسحر الجنّ . ثم انتظرتُ فدقّ ثلاث دقّات ومثلهُ فعل المنتبهان فقال : «باسم مهندس الكون الاعظم أُعلن فتح المحفل الاكبر» فيسمعي اسم مهندس الكون علمت انّ محفلنا البيروتي لم يخلع بعد تمامًا ربقة المراء (٢

---

١) اخذنا هذه الاوصاف من كتب الماسونيين الاوربيّة والشرقيّة ممّا لم ترد عليها حرفًا

٢) قد قرأنا في عدد شباط الاخير من المقتطف (ص ١٥٨) انّ كثيرين من الماسون الشرقيين طلبوا الغاء هذه البقايا الدينيّة . وقد بيّنا سابقًا انّها قشرةٌ يتستّر وراءها الماسون فالأولى بهم ان يجاهروا بأفكارهم دون مراء ومحاباة

وكان ذلك اليوم مخصّصاً « بتكريس » (كذا) طالب الدخول في الدرجة الاولى. فهنّأت نفسي بحضور هذه الحفلة الشائقة لأصفها عن عيان. ولهذه الحفلة مقدّمات طويلة وهي اسئلة واجوبة وتفتيش وطرق مطارق وتهيئة بعض التهاويل. وكان جاء المحفل رئيس محفل آخر فقام الاخوة وسجدوا اسلحتهم ومدّوها على شبه قنطرة سلاحيّة مرّ الزائر تحتها تعظيماً لمقامه واجلسوه في الشرق وجلس الكلّ فاندفع الاستاذ الاكبر في الاسئلة التي لا تقلّ عن سبع صفحات في الكتاب الرسميّ الذي عُني بطبعه سنة ١٩٠٥ في مطبعة المقتطف « شاهين بك مكاريوس استاذ اعظم المحفل الاكبر الاورشليميّ ورئيس اعظم شرق العقد الماركي بالبنويس... الخ الخ الخ ». (وليعذرنا الاستاذ عن الاقتصار في ذكر القابه الماسونية التي تستغرق خمسة عشر سطراً من قطع هذه المجلّة). ودونك بعض الاسئلة التي رواها جنابه ليعرف جمهور القرّاء كم هي سامية اسرار الماسونية

الرئيس: ما هو اوّل واجب في المحفل يا حضرة المنبّه الاوّل ؟

ج : التحقّق اذا كان المحفل مغلقاً

الرئيس: تأكّدْ ذلك يا اخي

المنبّه الاول: اخي الحارس الداخلي انظر اذا كان المحفل مغلقاً

فيذهب الحارس الداخلي الى الحارس الخارجيّ وينظران هل الابواب موصدة ويعود فيطرق بطرقتين ثلاث مرّات ويجيبُ الحارس الخارجي بالمثل فيقول: اننا مستترون يا حضرة المنبّه الاوّل

فيكرّر المنبّه الاول: اننا مستترون يا حضرة الرئيس المحترم

الرئيس للمنبه الثاني: ما هو الواجب الثاني يا اخي المنبّه الثاني ؟

ج: ان يكون جميع الحاضرين بثلاثين احراراً

ر: ايها الاخان (كذا) المنبّهان انظرا اذا كان جميع الاخوان على صفّكما احراراً

وهنا خفتُ ان يعلم بي المنبّهان لكني بفضل « الجزويتي الجاسوس » نجوت من هذا التفتيش. فطرق المنبّهان بطرقتهما واعلما الرئيس بوجود ثلاثين احراراً ليس الّا. فاستحسن الرئيس قولهُ وواصل الاسئلة على الموظّفين فعلمتُ من اسئلته انّ الموظفين ما عدا الرئيس والمنبّهين ونائب الرئيس هم الحارسان الداخلي والخارجي والمرشدان. وممّا سألهُ الحارس الخارجي قولهُ:

س: اين محلّ الحارس الخارجي ؟

ج : خارج باب المحفل

س: وما الواجب عليه ؟

ج : ان يكون قابضاً سيفاً مسلولاً (مثل ملاك الموت) ليمنع تجسّس الاعداء ويردع الذين يريدون في الاطلاع على اشغالنا ويلاحظ قصد طالبي الدخول

وتمّ بقيّة الاسئلة على هذا الطرز الجليل وكان ختام هذه المقدّمات « انّ الرئيس المحترم طرق ثلاث طرقات بالمطرقة وجاوبهُ عليها النبهان والحارسان. ثم تقدّم الرئيس وفتح كتاباً (وهو على قولهِ الكتاب المقدّس. ومن المعلوم ان الماسون لا يعتقدون الاسفار المنزلة. واليوم قد ابطلوا استعمالهُ حتى في بعض محافل الشرق لوجود مسلمين بينهم) ووضع الزاوية والبرجيل (البيكار) حسب الاصول ثم اقام المنبّه الاوّل عمودهُ ووضع المنبّه الثاني عمودهُ انقيًا وجلس الاخوان »

ثم تلوا خلاصة اعمال الجلسة السابقة. وابدى بعضهم فيها ملاحظاتهم ثم صادق عليها الاخوان برفع اليد اليمنى. ثم اداروا كيس الاوراق السرّيّة على الحضور وتُليت المراسلات الواردة للمحفل امّا المراسلات السرّيّة التي ارادوا اخفاءها عن ذوي الدرجة الأولى فسلّموها الى كاتب الاسرار

وبعد انهاء الاشغال والقاء بعض الخطب في مواضيع ماسونيّة كالخيريّة وكسر نير الأكليروس وخفض شأن الاعيان اجالوا صندوقين لجمع حسنات الاخوة يدعونهما « صندوقي الاحسان والبناء ». وقد لحظتُ ان جودهم الحاليّ لم يتجاوز بعض متاليكات طلبوا بها لمّا رموها في قعر الصندوق

وبعد هذا أُتي بالطالب (١ وعلى عينيهِ غمّى (كذا. اي رباط) وقادهُ احد الاخوان الى غرفة التفكير وهي غرفة مظلمة مغطّاة بالسواد على جوانبها رموز مخيفة كجحيم وهياكل موتى واسلحة ومكتوب عليها عبارات تهديد لم يذكرها الاستاذ شاهين بك مكاريوس لئلّا ترتعد لها فرائصنا وانّما ذكرها الاخ ب. كلافل (Clavel) وهذا تعريبها: « ان كنت ذا مراء قادرًا على الخنا فاعلم انّك ستُكشَف — ان كنت تطلب الامتيازات الشرفيّة فاخرج اذ لا نعلم بها بيننا — ان طلبنا منك اعظم التضحيات افأنت مستعدّ للطاعة » وغير ذلك ممّا يبيّن انّ الطاعة العمياء بين الماسون وليست بين «الجزويت» كما

١) كلّ هذا الوصف تأخذهُ بالحرف من كتاب شاهين بك مكاريوس « الدرجة الاولى للماسونية » وانّما لخصناه فقط

زعموا . اما الاخ ٭ . الذي قاد ذلك الاعمى وهو يُدعى الاخ المهيب (او الاخ الفول) (Fr. ٭ . Terrible) فاخذ بيد طالبنا (المجهول) ودفعهُ على باب الغرفة المظلمة وكان الباب من الورق السميك فتزقّ وهبط هو الا انّ اخوين ٭ . تلقّيا الصريع بين ذراعيها المصلّبين وسُمع صوت اغلال الحديد كأنهُ يُغلّق عليهِ فبقي وحدهُ وازال البرقع عن عينيهِ فوجد نفسهُ في تلك الغرفة المظلمة واذا بنور ضعيف تراءى لهُ فرأى محتويات الغرفة وقرأ الآيات المبهجة المارّ ذكرها

وبعد هنيهةٍ عاد الاخ (الفول) وقدّم للطالب دفتر التعهُّدات فاقرأهُ اياهُ واخذ وعدهُ بحفظها ثم سألهُ عن اسمهِ واسم اهلهِ ومولدهِ وصناعتهِ ومنزلهِ وديانتهِ فكتب كل ذلك (في دفتر النفوس) وامضاهُ باسم الطالب

ثم جاء احد المرشدَين واخذ ما وجد مع الطالب من المعادن والنقود والحلى وربطها بمنديل والقى الى الشرق فسلّمها للمحترم بطرف الحسام . ثم نُزعت عن الطالب ملابسهُ التي فوق قميصهِ وكُشف ذراعهُ الايمن وصدرهُ وعنقهُ وساقهُ اليسرى الى الركبة ووُضع في رجلهِ اليسرى بابوج (حذاء) وفي عنقهِ حبل وحجاب على عينيهِ (ثانية) وأُتي بهِ على هذه الحالة الى باب الهيكل فأعلن مجيئهُ بثلاث طرقات فتقدّم الحارس الداخلي الى جهة المنبه الثاني وقال لهُ : ان الباب يُطرَق . فأعلم المنبه الثاني الرئيسَ المحترم بذلك

وهنا ابتدأت مباحثة بين الرئيس والمنبه والحارسين الداخليّ والخارجيّ عن طالب الدخول وحالهِ وسيرتهِ (بالمعنى الماسوني) فكان الجواب انهُ « طالبٌ في حالة الظلام » (ولا غرو اذ هو معصوب العينين او بالحري اعمى القلب) ثم اردف قولهُ بأنهُ جاء يطلب النور (!) بقبولهِ ضمن عشيرة البنائين الاحرار (؟) . فسمح الرئيس المحترم بدخولهِ

فما قدم بهِ المرشد الى الباب حتى قابلهُ الحارس الداخلي بسيفهِ مسلولًا فوضعهُ على عنقهِ قائلًا : بماذا تحسّ ؟ . فاجاب : بنصل سيف . فتهدّدهُ الرئيس قائلًا بانّ هذا السيف سينتقم منهُ ان كان ليس مخلص النيّة لجماعة الماسون

ثم عرض عليهِ الرئيس الاقرار بمهندس الكون الاعظم وبالخلود . الّا اني راجعتُ الكتاب الذي اعارني اياهُ « الجزويتيّ الجاسوس » فقرأتُ فيهِ للاخ ٭ . كلافل انّ الاقرار بوجود مهندس الكون والخلود قد أُلغي في اكثر المحافل وانما ادخلوهُ سابقًا لئلا ينفر الناس من كفر الماسون وكذلك الامر في بعض البلاد قليلة التمدُّن (كبلاد

سوريَّة حيث يعتقد الناس وجود الله وخلود النفس). راجع ما قلنا سابقاً في هذا المعنى

وبعد هذا امر الرئيس الطالب ان يركع واستلَّ المرشدان سيفيهما فجعلاهما على رأس الطالب وتلا الرئيس دعاء الى مهندس الكون لم يبق لهُ من اثر في اغلب المحافل الماسونيَّة اذ لم تعد تحتاج هناك الشيعة الى التستُّر. وما التجأوا سابقاً الى مثل هذه الادعية الَّا ليتقلَّدوا الكنيسة الكاثوليكيَّة في رتبها الكهنوتيَّة وقد قال احد مشاهير الكتبة « انَّ الشيطان ترد الكنيسة فيحاكي للشرّ ما يراهُ من اعمال الكنيسة للخير ». فتأمَّل

ثم ابتدأت امتحانات الطالب الرمزيَّة فوجدتها من اظرف خزعبلات الصبيان وها انا اصفها كما رأيتها وكما تجري في كل المحافل الماسونيَّة (لهُ بقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

I A. Krymsky: Jstorija Persii i jeja literatury. *Moskwa*, 1909, pp. IX-92. تاريخ الفرس وآداب لغتهم والتصوُّف عندهم

II A. Krymsky: Jstorija Turcii i jeja literatury. *Moskwa*, 1910, pp. XIII-104. تاريخ الترك وآداب لغتهم في عهد عظمتهم

لا يخفى على قرَّاء المشرق الكرام ما لمدرسة الالسنة الشرقيَّة المعروفة باسم مؤسِّسها لازاريف في موسكو عاصمة روسيا السابقة من السعي والاهتمام في نشر الابحاث والكتب المتعلِّقة باحوال الشرق الحاضرة والغابرة فانَّ هذه المجلَّة اغلقت مطبوعاتها في سنيها الماضية (راجع ٤ : ١٧٥ و ٧١ = ٥ : ٥٣٦ = ٦ : ٠٠ : ١٨ = ٧ : ١٦٠ = ٩ : ١٠٥٩ = ١٠ : ٦١٧) واليد الطولى في كل الابحاث عن شرقنا الادنى للاديب كريمسكي الذي اقام في بيروت حيناً من الزمان قبل مدَّة عشر سنوات ثم جُعل استاذاً للعلوم العربيَّة وتاريخ الشرق في المدرسة المذكورة. فانَّ جنابهُ يتحفنا حيناً بعد حين بمؤلَّفات من نفثات قلمهِ يعرف قرَّاء الروسيَّة مكانها الجليل بين كتب المستشرقين الروسيين. وممَّا وصل الى ايدينا اخيراً كتابان لهُ في تاريخ الفرس وتركيا جمع الاستاذ فيهما محاضرات القاها على تلامذتهِ في المدرسة المشار اليها. والكتاب الاوَّل عبارة عن

مقدّمة لتاريخ الفرس بعد فتح الاسلام فانّ قسمهُ الاكبر يحتوي بحثاً مدقّقاً في مصادر هذا التاريخ مما كُتب باللغات العربيّة والفارسيّة والاوربيّة ويحتوي ايضاً ملاحظات مطوّلة على كل ما قام به علماء اوربا من الابحاث في هذا الشأن. وتليه مقالة في مصادر تاريخ آداب اللغة الفارسية بهذا الترتيب نفسه. ولم يَفُتِ المؤلف على ظننا شيءٌ مما نُشر في هذا الصدد في كل اللغات الاوربيّة ليس من الكتب فقط بل ومن المقالات في المجلّات والجرائد ومن الانتقادات العديدة وهذا مما يستحقّ شكراً خاصاً. والقسم الثاني من الكتاب المذكور يحتوي تلخيص تاريخ الدول التي قامت على انقاض الدولة السلجوقيّة كالدولة الطاهريّة والصفّاريّة والسامانيّة والزياريّة والبويهيّة. وفي هذا القسم مع اختصاره فوائد جمّة وقد اردفهُ المؤلف بجداول اسماء امراء هذه الدول مع سني حياتهم

والكتاب الثاني للاستاذ كريمسكي يحتوي جزءاً من تاريخ تركيا وآدابها في اواخر القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر لاسيما على عهد السلطانين المشهورين سليم الاوّل فاتح مصر وسليمان القانوني. وجعل المؤلف القسم الاكبر من كتابه تاريخاً لآداب اللغة التركية في اثناء هذه البرهة وادرج مع تراجم الشعراء والكُتّاب اسماء تآليفهم وذكر مواضيعها وترجم جانباً كبيراً مما انتخبهُ لهم فاصبح كتابهُ بذلك بحثاً لم يسبقه اليه احد من علماء روسيا والفضل للمتقدّم. ومما يزيد كتابهُ اهميّة تفصيل علاقات تركيا مع الممالك السابقة طبقاً للمصادر المكتوبة باللغات الرومية القديمة والبولونية واللاتينية. وهذه الابحاث كما يعرف قرّاء تآليف جنابه تكشف عن اطّلاع واسع والمام تامّ. ولا عجب ان وجد المنتقد المدقّق في كتاب كهذا بعض السهو فان الموضوع واسع وطريق البحث فيه وعر. ومن هذا القبيل ما زعمه المؤلف (صفحة ٦٤) عن البيت المشهور «وما التأنيث لاسم الشمس عيب» الخ انهُ من نظم الشاعر الفارسيّ جامي وليس الامر كذلك بل اخذهُ جامي من قصيدة مشهورة للمتنبّي رثى بها امّ سيف الدولة (راجع مقالتنا في المتنبّي والي العلماء صفحة ٤٧). ولا يخفى على القارئ ان هفوات كهذه لا تحطّ من قدر الكتاب فان عارفي الروسية يعلمون ما لفحوى ابحاث الاستاذ كريمسكي من الرصانة وسعة النظر وما لانشائهِ من السهولة والطلاوة التي تدلّ عليها اشارهُ وروايتهُ دلالة صريحة

ا. كراتشقوفسكي

Mediæval Researches from Eastern Asiatic Sources by E. Bretschneider M. D., with 2 Maps. and 2 vols. I. XII-334 II. X-352, *London, Keyan Paul, Trench, Trübner and C°.*

ابحاث شرقية عن آثار القرون المتوسطة

الدكتور برتشنيدر كان قبل عشرين سنة في پكين بصفة طبيب السفارة الروسية فتجوّل مدّة في الصين وبحث عن آثارها القديمة ونشر عدّة فصول في بيان احوالها لاسيما تاريخ دولها في القرون المتوسطة ووصف بلدانها. فبانت مقالاتهُ كتاباً ضخماً الّا انها كانت متفرّقة فجُمعت في جلدين يبلغان ثمنًا وسمانة صفحة قام بكلفة نشرهما الطبّاع الشهير كيغان پول وشركاؤهُ على اتقن متوال وفي الكتاب رسمان قديمان لخارطة الصين مع اسماء بلادها القديمة فسعى المؤلف بشرحها وتطبيقها على الاعلام الحديثة. ومن فوائد هذا الكتاب انهُ يوقفنا على امور كثيرة من احوال المغول على عهد جنكزخان وسلالتهِ الذين فتحوا الصين وادخلوا فيها شيئًا من تمدُّنهم. فنشكر الجامع لهذه الآثار الشرقيّة ونتمنّى لها عددًا وافرًا من القرّاء. ل. ش

Man. A. Triandaphyllidis.-Die Lehnwoerter der mittelgriechischen Vulgaerliteratur, 8°, 192 p.. *Strassburg, K. J. Trübner*, 1909.-Pr. 6 Mk.

الفاظ اللغة اليونانية العامّية في القرون الوسطى

هذا الكتاب لا يفيد فقط معرفة اللغة الشائعة بين عامّة اليونان في الاجيال المتوسّطة بل يعمّ نفعهُ ايضًا معرفة آداب اليونانيّة المستحدثة اجمالًا اذ يبحث عن اصول اللغة بحثًا انتقاديًا غاية في الدقّة ولعلّهُ تجاوز الحدود في استعمال كثير من العلامات والاصطلاحات التي يكاد القارئ ان يضيع فيها فيراها اشبه بالحروف الجبريّة. وعلى كل حال لا يسعنا الّا الاقرار بسعة علم المؤلف ونشكرهُ لما قدّمهُ على كتابهِ في تعريف المصادر التي اخذ عنها كما انهُ احسن في وضع الفهارس المستوفية في آخرهِ. وقد استفدنا من شروحهِ معرفة اشتقاق عدّة الفاظ كلفظة φωτεύω مثلًا التي نقلها الاتراك وجرت بيننا على صورة « فسطان » فانهُ بيّن انّ اصلها من الايطاليّة (fustagno) ومنها الفرنسويّة (futaine) معناها الاقمشة القطنيّة. اما قولهُ عن لفظة τρόμπα وبالايطاليّة (tromba) فالغالب على ظننا انها عين اللفظة τουλούμπα وفي التركيّة طولومبة التي ارجعها السوريّون الى اصلها فقالوا « طرومبه ». ولنا على هذا الكتاب عدّة ملحوظات

في اشتقاق بعض الالفاظ اليونانيَّة من التركية او العربيَّة الّا اننا نؤجلهـا الى مقالة نثبتها في مجموع المكتب الشرقي (Mélanges de la Fac. Orientale)

ل.ر

BIBLIOTHECA HAGIOGRAHICA GRAECA ediderunt Socii Bollandiani, ed. altera emendatior. Accedit Synopsis Metaphrastica, *Bruxellis, Société des Bollandistes,* 1909, in-4. XV-98.

مكتبة القديسين اليونانيَّة . طبعة ثانية

الآباء البولنديُّون اليسوعيُّون اوثق مرجع يقصـده العلماء في امور القديسين وتواريخهم ونقد اعمالهم . فآثارهم من هذا القبيل لا تكاد تحصى يقرُّ بفضلها كل من يعرفها . ومن جملة خدمهم أنهم جمعوا في مصنَّفات مستأنسة وعلى ترتيب حروف المعجم وصف التآليف التي نُشرت عن القديسين في العالم كلّه في اللاتينيَّة ثم في اليونانيَّة . وعمَّا قليل سينتهي احدهم عن وصف التآليف الشرقيَّة ايضاً صادراً من مطبعتنا . واليوم قد اتحفونا بالطبعة الثانية من مكتبتهم اليونانيَّة . وهي تتضمَّن وصف ١٨٩٠ كتاباً في اعمال القديسين وتراجمهم اليونانيَّة فيعرف العلماء بكل سرعة ما نُشر منها ويستغنون عن الجولان في المكاتب للوقوف على مظانّها . وممَّا زادوهُ على هذه الطبعة الجديدة من المحسّنات خلاصة تراجم سمعان الترجمان (Simon Métaphraste) احد كبار المؤلفين لتراجم القديسين في القرن التاسع . فنكرّر شكرنا للاباء البولنديين الذين يقرّبون هذه الموارد لافواه كل المستقين ونطلب الى اولياء الله ان يجزلوا عليهم الثواب لعملهم الصالح

ل.ش

Documents inédits pour servir à l'histoire du Christianisme en Orient (XVI-XIX siècle) publiés par le P. Ant. Rabbath s. j. T. II, fasc. I; *Paris, A. Picard*; *Leipzig, O Harrassowitz*, 1910, p. 208

لآثار الخطيَّة لتاريخ الكنائس الشرقية

لا نخال قرَّاءنا الكرام ذهلوا عن مقالتنا السابقة (في المشرق ١٠ : ٧١٥) عن الجزء الاوَّل من هـذا التأليف الفريد الذي تولَّى نشرهُ حضرة الاب انطون رباط اليسوعي . وقد اوضحنا هناك عظم شأنهِ ووفرة مضمونهِ عن اصدق المصادر والكتبة المعاصرين من سفراء وقناصل وبطاركة ومرسلين في كل المواضيع الدينيَّـة واوصاف الكنائس الشرقيَّة والتقارير المتواترة في اعمال المرسلين واحوال البـلاد . وقد اتَّفقت

المجلات الاوربيّة الخاصة في بيان مزايا الكتاب الحسنة والثناء الطيّب على صاحبه. وها قد باشر حضرتهُ اليوم في الجزء الثاني منهُ فاصدر قسمهُ الاوّل في ٢٠٨ صفحات وهو لا ينقص شيئاً في عدد محتوياتهِ ووفرة آثارهِ عن الاقسام السابقة. ففي اوّلهِ يوميّة الآباء الكرمليين في حلب يرون فيها كثيرًا من اخبار تلك الحاضرة من السنة ١٦٦٩ الى ١٨١٩ وفي اثر هذه اليومية رسائل لرهبان الكرمل يصفون فيها مساعيهم الرسوليّة في انحاء الشام ويليها نحو خمسين رسالة او عريضة او تقريرًا او رحلة تتضمّن اخبارًا شائقة في امور الدين وغيرها في انحاء الممالك العثمانيّة وكلّها بكتبة معاصرين يوثق بهم يوجّهون تحاريرهم الى رؤسائهم الروحيين او العالميين فاستخرجها حضرة الجامع من دفائنها الخاصّة واغنى بها المعارف. أخذ الله بيد حضرتهِ ليواصل هذا العمل الجليل ويتجزهُ قريبًا ل.ش

تعزية الخاطئين في اعترافات مار اغوسطين

عرّبها المنسيور يوسف العلّم النائب الاسقفيّ لابرشيّة طرابلس الشام
بالمطبعة اللبنانية جسر حجر ببيروت (لبنان) سنة ١٩٠٩ (ص ٦٢٨)

هو الكتاب الذي كنّا نودّ نقلهُ الى العربيّة ليشمر في نفوس اهل بلادنا ثمرات الخلاص التي اجتناها قبلنا من اغراسهِ اليانعة أوف من القرّاء الاجانب حتى قيل عنهُ ما قيل عن رياضات القديس اغناطيوس دي لويولا انّهُ ردّ الى الله من النفوس اكثر مما يحتويهِ من الحروف. ولعلّ الذي ثبّط الشرقيين عن تعريب هذا التأليف الفريد مما ضمّنهُ صاحبهُ النابغة من الآراء الفلسفية الفاضة وخاض فيهِ من بعض الابحاث النظريّة السامية التي لا يدركها الّا القليلون فتيسيرًا لاقتباس انوارهِ اللامعة قد جرّدهُ سيادة المنسيور لويس سيراكو عن هذا القسم العويص الخاصّ بكبار الفلاسفة فأبقى منهُ ما لا يجد فيهِ جمهور القرّاء سوى جواهر الفوائد الروحية ونوادر الارشادات الخلاصية فراجت ترجمتهُ الايطالية ايّ رواج حتى تكرّر مرارًا طبعها. فالى هذه الصورة المستطرفة قد عمد سيادة المنسيور يوسف العلّم لوضع ترجمتهِ العربية بعد ما راجع الاصل اللاتيني فجاءت ترجمتهُ سهلة المنال منسجمة العبارة فيهذُّ القارئ في مطالعتها وعيناهُ تسكبان مع اوغسطينوس دموع التوبة النصوح وقلبهُ يتأجج معهُ بنار حبّ الله فيصرخ كما صرخ بعد اهتدائهِ: «ويلاه كيف تأخرتُ في معرفة الجمال الالهي الثابت وحبّ الخير الاكيد».

فمن اراد ان يذوق حلاوة التوبة والزهد عن الارضيات فعليه بهذا الكتاب وليشكر معنا فضل سيادة المترجم الذي قرّب من شفاهه هذا المنهل الصافي والكوثر الالهيّ ل.ش

كتاب رتب وعبادات كنائسيّة حسب عادة الطائفة المارونيّة

طُبع ثانية. بالمطبعة الكاثوليكيّة سنة ١٩١٠ (ص ٢٢٤)

كان الطيّب الذكر السيّد البطريرك يوسف اسطفان مدّة استقفيته جمع عدّة طقوس وعبادات جارية في الكنيسة المارونية كرُتب الاعياد وحلولات تبريك الماء للدنح وتبريك الشمع والرماد ومنح البركة بالصليب ورتبة الشمنية والغسل يوم خميس الاسرار وسجدة الصليب يوم جمعة الآلام وزيّاحات مختلفة فصادق عليها المجمع المقدّس وامر بطبعها في رومية البابا غريغوريوس السادس عشر بالتماس المطران نقولا مراد. فلمّا تمدّت هذه الطبعة الاولى امر غبطة السيّد البطريرك الياس بطرس الحويك السامي الاحترام بتجديد طبعها بعد ان عُني بتنقيحها آباء الرسالة اللبنانية المارونية الافاضل. فطُبعت في مطبعتنا الكاثوليكية طبعاً حسناً وأُضيف اليها نصّ العادات بالسريانية وكانت سابقاً بالعربية فقط. ثم أُلحق الكتاب بايضاح النعم التي نالها السيد البطريرك من الحبر الاعظم بخصوص شركتي الورديّة وثوب سيّدة الكرمل واخويّة الحبل بلا دنس على شروط معلومة. فبهذه الطبعة تيسّر لسائر الكهنة والمؤمنين الحصول على هذا الكتاب الجزيل الافادة ومشاركة الكنيسة في رُتبها المقدّسة وتغذية الارواح بتعاليمها السامية. جازى الله خيراً كل من اهتمّ بهذا العمل الصالح ل.ش

شذرات

الفرمسون ومقالتنا في كشف اسرارهم قامة قيامت الفرمسون في بلادنا واستاؤوا اي استياء. لما نشرنا في المشرق من المقالات المتوالية في كشف كفر شيعتهم وخداعها. وحاولت مجلّة المقتطف في عددها الاخير (١ كانون الثاني ١٩١٠ ص ١٥٧) ان تبرّئ الماسونية ممّا تدعوه تهماً في حقّها فافتتحت كلامها بقولها: «من غرائب اطوار الانسان انّ غرضهُ يعميه عن رؤية الحقائق ولو ظهرت امامهُ واضحة مجسّمة. مثال ذلك اتهام بعض الناس للجمعية الماسونية بأنّها جمعية سياسيّة معادية

لكل سلطة مدنية وهم يرون اعظم الملوك والوزراء ورجال السياسة من اعضائها . . . »
فكان حقًا بعد هذه الفاتحة ان نجد في مقالة المقتطف ردًّا على الشهادات المتعدّدة التي نقلناها من كتب شيوخ الماسونية فسكت عنها كلها وردّد ما اعتادهُ الماسون لتزكية شيعتهم تاسباً اليها نشر التمدُّن والترقي الى غير ذلك من العبارات الفارغة التي اشبعونا من تشرتها ولم يُذيقونا بعدطعم لها . فما اسهل على صاحب المقتطف وامثالهِ من الماسون ان يلقموا الحجر بنكران الشواهد التي اثبتناها عن جماعتهم المدوّنة وسوف نثبت غيرها ان شاء الله فانَّ جعبتنا ملأى من السهام الصائبة فليس للماسون في بلادنا الّا احد امرين اما ان يقرُّوا بصحّة شواهدنا فيكشفوا اللثام ويجاهروا بعداء الدين واما ان يبيّنوا انَّ منقولاتنا لا صحّة لها وانَّها مأخوذة عن مصادر كاذبة . فما قولهم ؟ — واغرب من دفاع المقتطف عن الماسونية كرّاسة « لمسيحي حرّ » جمع فيها ما امكنهُ من القذف والطعن في حقارتنا وفي الرهبانية اليسوعية على الطريقة المألوفة عند الماسون (وكلُّ اناء ينضح بما فيه) فطبعها دون ذكر اسمه وعلّل طبعها . وفي هذا احسن دليل على صدقه فما لنا نحن « الجزويت » اذا كتبنا عن الماسونية نصرّح باسمنا وندلّ على صفحات الكتب التي ننقل عنها اليس ذلك بيّنة على اننا لا نخاف في قولنا لومة لائم ؟ . فكفى الماسونية تسترًا وحسبُها كذبًا وافكًا . امَّا الشكايات التي في هذه الكرّاسة فقد تفكَّهنا بحلاوتها واضحك البشير قرّاءهُ بنشرها . والحق يقال انَّ احسن ما نتمنّى لصاحبها ان تزيد انتشارًا ليرى الكلّ ضعف حجّة الماسون في الدفاع والهجوم . فما اصحّ قول المتنبي :

واذا اتتك مذمّتي من « فاجر » فهي الشهادة لي بأني كامل

— هيكل والمقتطف — افتتح المقتطف عدد شباط الاخير (ص ١٠٥) بنبذة عن ارنست هيكل (Ern. Haeckel) وأطرأ كعادتهِ ذلك الطبيعيّ الشهير نصير المذهب الدروبني ولم ينس الكاتب الّا امرًا واحدًا وهو ما وقف عليهِ العلماء من تلاعب هذا الرجل ومكره العجيب فانهُ لمَّا اراد مرَّة اولى ان يبيّن انَّ مبدأ الحياة قد نجم من دقائق مادّية اجتمعت في ظروف خاصّة دون فعل الخالق جاءت اكتشافات العلّامة بستور فزيّفت رأيهُ السخيف واثبت انَّ لا حي الّا من الحيّ . ثم عاد هيكل ثانيةً وقصد اثبات تسلسل الانسان من القرد فادّعى انَّهُ وجد دعامةً لمذهبهِ في صوَر نطفة الانسان مدّعياً انها تشبه تمامًا صور نطفة القرود فزوَّر تلك الصور

واشاعها حتى خامر الريب في قوله احد علماء وطنه الدكتور براس فيمد البحث المدقق كذّب هكل رسمياً امام جماعة من علماء وطنه واضطرّهُ بان يقرّ بتزويره تلك الصور. فانفضح امر هكل بأعين كل اهل العلم الّا المقتطف الذي لا يزال يعدّ هكل فيلسوفاً عظيماً. فبخ بخ من نزاهة هذه المجلّة واصحابها الذين يطنطنون بالعلم كلّما وجدوا فيه ناصراً لآرائهم الباطلة

اثر قديم في اميركا دخل آخراً في متحف الجمعيّة التاريخيّة في مدينة مينسوتا أثر جليل اكتُشف سنة ١٨٩٠ قريباً من مدينة سولم جنوبي كنتيسة دوغلاس الواقعة في مقاطعة مينسوتا من الولايات المتّحدة. والأثر هو حجر طولهُ نحو ٨٨ سنتمترًا في عرض ٤٧ س وسمك ١٧ س وعلى وجهَيْه كتابة بحرف شبيه بالحرف الروماني وباللغة المعروفة بالرونية (langue runique) وهي لغة قدماء اهل اسوج ونروج والدنيمرك والكتابة عبارة عن تسعة اسطر في احد الوجهين و٣ اسطر في الوجه الآخر. هذا تعريبها:

(الكتابة الاولى) نحن ثمانية قوط (اي اسوجيين) و٢٢ نروجيًّا رحلنا لكشف البلاد قادمين من ڤينلاند (وهي غرونلند) بعيدًا من جهة الغرب. وكنّا تركنا هذه صخرتين قميط جما المياه على مسافة مرحلة شمالاً من موقع هذا النهر (الذي تصبهُ) ثم خرجنا يوماً للصيد فلمّا رجعنا وجدنا عشرة من رجالنا مضرّجين بالدماء قتلى. فالسلام عليك يا مريم (Ave M.) نجّينا من البلاء

(الكتابة الثانية) : قد تركنا عشرة من الرجال ليحفظوا سفينتنا التي هي على مسافة عشر مراحل من هذه الجزيرة - سنة ١٣٦٢

فيؤخذ من هذه الكتابة انّ هؤلاء الصيادين قدموا الى مقاطعة مينسوتا بحرًا فتركوا سفينتهم عند جون هودسون وتوغّلوا في البلاد وكانوا من الكاثوليك كما يظهر من التجائهم الى حماية مريم العذراء. وهذه الكتابة بعد ان شكّ البعض في صحّتها قد أثبت اليوم صدقها فئة من الاثريين اخصّهم الاستاذان هولاند (Holand) ووِنشل (N. H. Winchell). فجاء هذا الاثر مثبتاً لما عُرف سابقًا من دخول اهل اسوج ونروج في شمالي اميركا قبل كرستوف كولمب بعدّة اجيال ويقرّ الجميع بانّ غرونلند كانت معروفة منذ اوائل القرن الحادي عشر للميلاد ويُعرف اسماء بعض اساقفتها في القرن الثاني عشر. اما اميركا الجنوبيّة فنحيل القرّاء الى رحلة اول شرقي اليها وهي التي

نشرها حضرة الاب انطون رياط في المشرق وطبعها على حدة. وهناك فصل في تقاليد قديمة عن دخول النصرانيَّة في امركة قبل كرستوف كولب لا حاجة الى ذكرها هنا. فلتراجع

اسئلة واجوبة

س سألنا احد افاضل البلدة كيف تُصنع الطرابيش وما هو اصلها

الطرابيش وصناعتها

ج الطربوش من الفارسيَّة سر پوش معناه غطاء الراس عموماً ثمَّ شاع للدلالة على القلنسوة الحمراء النصف المخروطة المستعملة في بلادنا واشيع منهُ اسم «الفاس» اشتقاقاً من اسم حاضرة مراكش حيث اصطُنع هذا الغطاء اوَّلاً كما يظهر وشاع منها الى بقية البلاد. اما صنعهُ فهو كصُنع اللِّبد ومنهُ ما هو لين غالي الثمن يُتَّخذ من وَبَر بعض الحيوانات الصغيرة كالارانب والكَستور ومنهُ ما دون ذلك نعومةً فيتَّخذ من اصواف الحملان والغنم او وبر الجمال. ويكون تركيب بعضهِ كالجوخ اي من الصوف الممزوج بالقطن وتختلف كيفيات هذه المركبات اختلافاً كبيراً ثم تُلصق بعضها وتُرصّ بالآلات حتى تُصبح لبداً ويصبغونها باللون الاحمر اما بالقوَّة كما كانوا يفعلون سابقاً واما بالانيلين الاحمر كما هو دارج في زماننا ويصبُّونها بالقوالب. هذا وصف اجمالي اما تفاصيل العمل فلا بُدَّ من مراجعة اهل المعامل الكبرى لمعرفتها ولكل معمل بعض اسرار يضنُّون بها زيادةً لحسن العمل وتوفير الارباح. اما تاريخ استعمال الطرابيش فليس يُعرف تماماً لكنها ليست اقدم من ثلثمائة سنة

س وسأل من تماثيل حضرة القس انطون صابر مرَّاد: ١ هل يمنع من ربح الغفرانات الزيادة والنقصان في ترجمة الصلوات التي منحت الكنيسة هذه النعم على تلاوتها ٢ اذا تُليت صلاة مغفَّرة في كتاب لم يصادق عليهِ ارباب الدين هل تُربح الغفرانات المتعلقة بتلك الصلاة

ربح الغفارين

ج الجواب على (الاوَّل) انَّ ترجمة تلك الصلوات يجب ان تكون امينة مضبوطة وافية لا تخلّ البتَّة في المعنى الجوهريّ اما اذا زيد فيها لفظة او لفظتان لتتميم المعنى وايضاحهِ فلا بأس منهُ. ونجيب على (الثاني) ان ذلك لا يمنع ربح الغفارين بشرط ان تكون الصلاة موافقة للاصل

ل. ش